

مركز دلائل
DALA'IL CENTRE



عالَم مجنون

(رواية)

أحمد حامد

عالَم مجنون

ما الذي يميزنا كـ (بشر) ؟ ما الذي يعطينا وصف (إنسان) ؟ وحق (إنسان) ؟ وقيمة (إنسان) ؟ متى يكون التعدي على حياة إنسان (جريمة) ؟ ومتى يكون (حقاً مكتسباً) ؟ ومتى يكون (حرية) ؟

ما حدود ما نلقنه لأبنائنا من (أفكار) أو (تعاليم) ؟ متى يعد تدخلنا في حياتهم (مرفوضاً) ؟ ومتى يكون (مقبولاً) ؟

هل يكتسب الإنسان (وجوده) وحقه في (الحياة) بمجرد الولادة ؟ أم أنه حقٌ أصيلٌ له منذ تحركه بالحياة في بطن أمه ؟

ما حدود (التناقض) المسموح به في (خياراتنا) ؟ (قراراتنا) ؟ (تشريعاتنا) ؟ وفي (قوانيننا) التي نلزم أنفسنا بها ؟!

أحمد حامد 28 يناير 2020م

@Ahmad7Hamed





عالَم مجنون

(رواية)

عالَم مجنون

(رواية)

أحمد حامد

ح دار وقف دلائل للنشر، ١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م

عالَم مجنون (رواية)

أحمد حامد

١٨٤ ص ، ١٤×٢١ سم.

ترقيم دولي : ٥-٧-٨٥٥٤١-٩٧٧-٩٧٨

الطبعة الأولىٰ

١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م



Dalailcentre@gmail.com

الرياض – المملكة العربية السعودية

ص ب: ٩٩٧٧٤ الرمز البريدي ١١٦٢٥

Dalailcentre@

+٩٦٦٥٣٩١٥٠٣٤٠



دار تشويق للنشر والتوزيع

مصر - ‎+٢٠١٠٦٨٤٣١٧٧٠

DarTashweek@gmail.com

الفهرس

رَجُل التوصيل

لا يتوحد شعبٌ في بلدٍ ما لمشاهدة البث المباشر إلا لشيئين.. إما المباراة النهائية لمنتخب كرة القدم ! وإما لسماع بيانٍ سياسيٍ هامٍ يمس كل مواطن ! أما في هذه الليلة من ليالي الصيف والإجازات.. فكان الأمر مختلفاً.. فمع اقتراب الساعة من العاشرة مساءً.. انكب الملايين علىٰ هواتفهم المحمولة لرؤية البث المباشر لهذا الحدث الغريب.. في حين فضلّت الملايين الأخرىٰ مشاهدة نفس البث علىٰ شاشات القهاوي والكافتريات.

أما المشهد الوحيد الذي يتطلعون إليه جميعاً : فكان لأريكةٍ يجلس عليها رجلٌ محتضناً زوجته في حنانٍ وفي يده سكين ! وعلىٰ قدر ما كان الصمت سيد الموقف.. علىٰ قدر ما كان يُسمع في خلفية المشهد بوضوحٍ هتافاتٍ ليست بعيدة عن بيتهما.. حيث يمكن تمييزها إلىٰ جماعتين وصوتين مختلفين.. جماعةٌ تنادي بـ (الحرية).. والأخرىٰ تنادي بـ (الإنسانية) !

وعلىٰ بعد عشرات الكيلومترات من موقع هذا المشهد في العاصمة.. امتلأت كافتريا (الميدان) بالحشد داخلها لمشاهدة البث علىٰ الشاشة الكبيرة.. في حين شاركهم العشرات بالمراقبة من الخارج.. وقد اجتمعوا ينتظرون العد التنازلي لهذا الحدث.

وفي عُجالةٍ.. اقترب رجُل توصيل طلباتٍ بالموتسيكل الخاص به ونظارة قيادته السميكة.. وقف علىٰ أطراف الجمع خارج الكافتريا.. للتو انتهىٰ من توصيل آخر طلبيةٍ معه.. لقد ضبط وقته لإنهاء عمله بالكاد قبل هذا الحدث المثير.. كان ينتظره بفارغ الصبر أكثر من أي شخصٍ آخر.. خاصةً وليس لديه من رصيد الإنترنت ما يكفي لمتابعة البث المباشر علىٰ هاتفه.. ديونه استهلكت معظم أمواله !

ومن مكانه وقف يترقب.. وتعالت الأصوات :

"هل سيقتلها فعلاً" ؟!

"هل ستتدخل الحكومة في اللحظة الأخيرة" ؟

"هل سيقتل دكتور (ياسر) زوجته" ؟

"هل سينفذان وعدهما ؟ هل ستتركه دكتورة (نيفين) يقتلها" ؟

لم يستطع رجل التوصيل تحمل هذا الكمّ العالي من التوتر.. فأخذ يردد بصوتٍ مسموعٍ :

"يا رب.. يا رب لا يقتلها.. يا رب يخلف وعده.. يا رب تتدخل الحكومة وتمنعه.. هذا ليس معقولاً يا ناس.. رجلٌ يقتل زوجته أمام الملايين ! إلىٰ ماذا وصل بنا الحال في هذا العالم المجنون" ؟!

أثارت كلماته رجلاً أمامه.. فالتفت إليه ملوحــًا بيده التي تحمل سيجارةً رخيصةً قائلاً في شماتة :

"بالطبع سيقتلها.. ولن يتدخل أحد.. هذه حريتهما الشخصية..

وهذا ما اختاره كل منهما لنفسه.. نحن دولة قانون يا أستاذ.. نحن دولة حريات.. لا مكان لخزعبلاتكم بعد اليوم.. هذا درسٌ عمليٌ لكل مَن ظن أنه سيعود بنا إلىٰ الوراء.. فليقتلها.. وليقتل مَن شاء مَن أراد.. اليو..."

في هذه اللحظة لم يتمالك رجل التوصيل نفسه.. يبدو أنه كان مشحوناً نفسياً بما لا مزيد عليه لينفجر فيه لكماً وضرباً علىٰ رأسه وجسده.. كان تصرفه مفاجئاً لم يتوقعه أحد.. ولم ينتبه أكثر الواقفين إلا علىٰ صراخه في لوعةٍ وألم :

"لا فائدة منكم أبداً.. لا فائدة.. ماذا يفعل لكم الرجل أكثر مما فعل لكي تفهموا ؟ ماذا يقول لكم أكثر مما قال" ؟

حاول الناس إبعاده عن الرجل.. وقد احتار بعضهم ما بين الفض بينهما وبين متابعة هذا الحدث..

وحينها..

فاجأهم ما شاهدوه علىٰ الشاشة...!

* * *

أعزُ صديق

انتهىٰ المدعي العام من سرد أدلته علىٰ إدانة الزوجين.. وقدّم للقاضي بعض الأوراق والثبوتات التي تدعم ما ذهب إليه في اتهامهما بالإخلال بالنظام العام للبلاد وإثارة البلبلة والفوضىٰ.. وهنا طلب القاضي عشر دقائق للاطلاع السريع علىٰ صحة ما في الأوراق وجدواها في القضية.

وعلىٰ مسافة كيلومتراتٍ من المحكمة.. كان يشاهد البث المباشر لوقائعها رجلان في مكتبٍ كلاسيكيٍ فخمٍ بأثاثٍ إيطالي.. حيث قال أحدهما في تساؤلٍ حقيقي :

"ماذا ترىٰ يا (رأفت) ؟ ما رأيك في القضية بهذا الشكل ؟ هل يقتنع القاضي بكلام المدعي العام ؟ أم تتطور الأمور مع إصرار وعناد صديقك" ؟

قام دكتور (رأفت) بتعديل نظارته فوق أنفه في هدوءٍ قائلاً :

"لو أردت رأيي بروفيسور.. رأيي الصريح الصادم.. أرىٰ أن تختطفوا (ياسر) أو (نيفين) اليوم ! أو حتىٰ تقتلوهما في أي حادثٍ مُدبرٍ من الآن ! لقد عاشرته قرابة الـ ٢٥ سنة.. وأعرف من لهجته ونظراته ما يمكن أن يفعله بالبلد والإعلام.. لقد بدأ معركةً ولن يتوقف حتىٰ ينهيها.. وصدقني.. هو من أكثر الأشخاص عناداً وذكاءً.. ويمكنني التأكيد بعد ما سمعته في المحاكمة الآن بأن غضبه علىٰ ابنته

وعلىٰ رفضنا تعديلاته : قد أوصلاه لمرحلة الجنون.. لكنه جنون الأذكياء للأسف.. ذلك الجنون الذي يدمر كل ما بنيناه".

رجع البروفيسور بظهره إلىٰ الخلف في مقعده الضخم الوثير.. وبدت عليه علامات التعجب من هذه الاقتراحات الصادمة.. فتابع دكتور (رأفت) بنفس الجدية والتحذير:

"صدقني.. سيفعل أي شيءٍ.. لقد جن جنونه للانتقام من الإدارة والمنظومة بأكملها.. لن تستطيعوا إيقافه فيما بعد.. أنا أعلم بما يمكنه فعله من تقليب الرأي العام علينا وعلىٰ المؤسسة بأكملها.. سيعمل علىٰ التصدر للإعلام وجذب عين الجماهير إليه وإلىٰ زوجته من الآن.. الملايين ستتابعهما دقيقةً بدقيقة.. صدقني.. إما توقفهما الآن.. وإما فلن تستطيعوا".

حرك البروفيسور رأسه متأملاً ملامح دكتور (رأفت) من أعلىٰ إلىٰ أسفل قائلاً في دهشةٍ حقيقية :

"معقول يا دكتور ؟! أنت تقترح عليّ خطفه أو قتله ؟ ظننتكما أصدقاءً من أيام الجامعة يا رجل ! هل كنت تخادعنا طيلة تلك السنوات ؟ أم هل كنت تخدعه" ؟!

أثارت لهجة التعجب والاستنكار ألماً عميقاً في نفس دكتور (رأفت) قبل أن يشيح بوجهه تجاه النافذة قائلاً في ثباتٍ مُصطنع :

"أولاً : أنا منذ شبابي وقد نذرت نفسي وولائي لقضيتي الكبرىٰ.. قضية الحريات.. ثانياً..."

وهنا قاطعه البروفيسور بابتسامةٍ خبيثةٍ :

"وما دامت قضيتك الكبرىٰ الحريات.. فلماذا تنقم عليه ما يريد فعله هو وزوجته" ؟!

سكت دكتور (رأفت) للحظةٍ قبل أن يجيب متأففاً :

"بسبب جملتك هذه يا بروفيسور أنا أنقم عليه.. أنت تؤكد بذلك نجاحه في أولىٰ خطواته الآن من زعزعة الثقة في الحقوق والحريات التي اكتسبناها.. نعم.. أنا لم أكن لأعارضه ولا أنقم عليه إن كان ينطلق من دافع الحرية الشخصية فعلاً كما يدعي.. لكني وكل مَن لديه ذرة عقل نعلم هدفه من إثارة هذه القضية في الرأي العام.. هدفه الآن هو بلبلة الناس وإحراجنا إعلامياً وحقوقياً أمامهم.. صدقني :

إذا سكتنا اليوم.. فالغد سيقول بمثل قولتك الملايين".

ابتسم البروفيسور نصف ابتسامة قائلاً :

"حسناً دكتور.. لم أقتنع بكلامك تماماً.. لكني لن أجادلك في هذا.. أردت فقط معرفة حقيقة صداقتك معه.. أنت قلت أن أول سبب لوقوفك ضده هو ولاؤك للحريات.. فما السبب الثاني إذن" ؟

عادت نبرة الهدوء إلىٰ دكتور (رأفت) وهو يقول :

"أنا صديق مَن يوافقني رأيي فقط.. تذكّر هذا جيداً بروفيسور".

زادت ابتسامة البروفيسور وكأنما تلذذ بإثارة توتر دكتور (رأفت).. ثم عاد ليعتدل في جلسته قائلاً :

"علىٰ العموم يا دكتور.. كلامك الآن عن خطفه أو حتىٰ قتله لن

يفيد.. فهو قد سبقنا بخطوةٍ فعلاً كما توقعت أنت.. فمنذ الأمس وقد أعلن عن بدء البث المباشر علىٰ مجموعات فيسبوك مخصصة لعرض كاميرات مراقبة له ولزوجته.. ٢٤ ساعة كاميرا في الفيلا وخارجها.. مع اتخاذه حراسةً خاصةً حوله إذا خرج.. هو لا يبغي الحماية بقدر ما يهدف إلىٰ توثيق تحركاته وأي شيءٍ يمكن الوقوع لهما فيما يبدو".

اعتدل دكتور (رأفت) بدوره بعدما شعر أخيراً باقتناع البروفيسور.. فقال في برود :

"وفي رأيك : هل يفعل ذلك أحدٌ إلا وقد نوىٰ علىٰ بدء حملةٍ إعلاميةٍ مخيفةٍ لإحراج مخالفيه ؟ هل اقتنعت بخطورة الأمر الآن" ؟

أجاب البروفيسور ولم تفارق ابتسامته الأخيرة وجهه :

"نعم دكتور.. ولو لم أكن أعرف بخطورة الأمر ما كنت جلست معك الآن لنشاهد هذا البث".

قطب دكتور (رأفت) جبينه متسائلاً :

"إذا كنتم استشعرتم الخطر بالفعل.. فماذا ستفعلون الآن" ؟

وهنا توقف الاثنان مع سماع صوت المذيعة تعلن عودة القاضي للمنصة بعد الاطلاع علىٰ الأوراق.. فابتسم البروفيسور ابتسامةً صفراء قائلاً :

"ما ستسمعه الآن هو البداية.. ولن نتوقف حتىٰ ننتهي منه".

* * *

برنامجكم

بدأ العد التنازلي للظهور علىٰ الهواء مباشرةً.. ٤.. ٣.. ٢.. ١.. "ابدأ".. قالها المخرج الشاب وهو يتراجع إلىٰ الخلف.

وعلىٰ الفور - ومع إضاءة الاستوديو - اختلطت أصوات الصفير والاستهجان من نصف الحاضرين.. مع أصوات التشجيع من النصف الآخر.. في مشهدٍ كثيراً ما يراه متابعو البرنامج مع المذيع (حاتم علي).. والذي يمسك دوماً بورقٍ في يده ليكسب به مظهر المثقف.. ثم استهل كلامه في حماسٍ قائلاً :

"أهلاً بكم أعزائي المشاهدين في حلقةٍ جديدةٍ من برنامج (برنامجكم).. الليلة حلقة خاصة للتعليق علىٰ حُكم القضاء ظهر اليوم في القضية التي شغلت الرأي العام مؤخراً.. قضية (القتل بالتراضي) للدكتور (ياسر) وزوجته الدكتورة (نيفين).. تلك القضية التي لا يعرف السامعُ بها إن كانت هزلاً وتمثيلاً ؟ أم حقيقة فعلاً ؟! لكنها شغلتنا جميعاً في النهاية وصارت واقعاً نعيشه..

كما نعلم : فقد حكم القاضي عليهما بالحبس بتهمة الإخلال بالنظام العام وإثارة البلبلة والفوضىٰ.. مع ضرورة عرضهما علىٰ مختصٍ للحُكم علىٰ مدىٰ استقرارهما النفسي.

وأنا معكم الآن لأستمع فقط.. فقد جئتكم اليوم بمجتمع (الحقوق والحريات) الذي انقسم بحكم القاضي اليوم إلىٰ فريقين.. فريق

المعارضين لحكم القاضي.. وفريق المؤيدين له.. وتذكروا :

أن هذا الانقسام هو في نفس جماعة تشريع (الحقوق والحريات) في بلادنا.. ليس انقساماً بينهم وبين المحافظين أو أتباع التراث مثلاً.. بل بينهم أنفسهم.. وهو ما يضفي أهميةً كبيرةً علىٰ الحدث واللغط السائد الآن في تلك الأوساط.. خاصةً بعد إنجازاتهم في السنوات الأخيرة.. وقوانينهم وتشريعاتهم المثيرة للجدل التي استطاعوا إقرارها بعد صراعات مريرة مع التراثيين".

وهنا أشار المذيع بحركةٍ مسرحيةٍ إلىٰ أحد الجانبين قائلاً :

"دعوت هنا من ضمن المعارضين الأستاذ (زكي عارف) الكاتب والحقوقي الشهير.. تفضل أستاذ (زكي).. معك خمس دقائق".

انتقلت الكاميرا إلىٰ الأستاذ (زكي) بشعره الأجعد ونظارته الدقيقة.. والذي حاول رسم علامات الاستهجان علىٰ وجهه قبل أن يتحدث.. حتىٰ بدا وكأنه زفر زفرةً قبل أن يقول حانقاً :

"أهلاً بك أستاذ (حاتم).. وأنا الذي أشكرك علىٰ إتاحة هذه الفرصة لنا اليوم للحديث في هذا الموضوع الشائك.. الحقيقة أن موضوع دكتور (ياسر) وزوجته أخذ أكبر من حقه بكثير.. ولو كان تركهما الناس كما أرادا وكما أعلنا : ما كنا نرىٰ كل تلك البلبلة اليوم".. وهنا تعالت الأصوات من الجانب الآخر :

"هذا جنون" .. "يعني نترك الرجل يقتل زوجته وتقولون لنا حريةً شخصية" ؟!.. "هل هذا هو سقف الحقوق والحريات الذي وعَدَنا به

الناس" ؟!.. "هذا غير معقول"....

وهنا تدخل المذيع الشاب من جديد ليهدئ الطرفين موجهاً كلامه لمؤيدي حُكم القاضي :

"أرجوكم.. أرجوكم.. كما تعودنا في (برنامجكم).. الكلمة كلها سأتركها لكم.. ستأخذون حقكم في الرد والتعقيب والتعليق.. لذلك أرجو الإلتزام بنظام البرنامج حتىٰ نصل إلىٰ النهاية.. وحتىٰ تصل جميع الآراء إلىٰ الجمهور".. ثم وجه كلامه للأستاذ (زكي) :

"أعتذر أستاذ (زكي) عن هذه المقاطعة.. تفضل أكمل كلامك.. معك ٥ دقائق كما هي عادتنا في (برنامجكم).. تفضل"...

هز الرجل كتفيه في علامة استخفافٍ بالموقف.. ثم واصل :

"كنت أقول أنه لو ترك الناس دكتور (ياسر) وزوجته كما أرادا : لما كنا رأينا كل تلك البلبلة اليوم.. خصوصاً أن زوجته الدكتورة (نيفين) نفسها والتي رضيت بأن يقتلها : لم تعترض ولم يبدو عليها أنها مجبورة أو مُهددة مثلاً.. فلماذا هذا الحَجْر علىٰ حريتها الشخصية في أن تُقتل علىٰ يد زوجها ؟ العجيب أن القاضي وبعد أن طالع الأوراق التي لا نعلم الحقيقة ماذا كان فيها : لم يذكر في حيثيات الحُكم أي سندٍ قانوني لحبسهما وعرضهما علىٰ مختصٍ نفسي ! لم يقم إلا بتكرار نفس كلمات المدعي العام وهي الإقرار بتهمة الإخلال بالنظام العام.. وإثارة البلبلة والفوضىٰ.. هل تتخيلون معي قيامنا بحبس كل مَن يريد ممارسة حريته الشخصية وعرضه علىٰ مختصٍ

نفسي ؟! أعتقد ساعتها أنه من الأفضل لنا والأكرم كهيئة تشريع للـ (حقوق والحريات) : إلغاء كل قوانيننا وتشريعاتنا الأخيرة التي أنجزناها.. وأن نعود عشرات السنين إلىٰ الوراء" !

توقف الأستاذ (زكي) للحظات وهو يتأمل وقع كلامه علىٰ الحاضرين من الجانب الآخر المقابل له.. فلم يجد ما يطمئنه إلىٰ قبولهم لكلامه.. أما المذيع الشاب فقد احتفظ بوجهه محايداً.. فواصل أستاذ (زكي) في نبرةٍ حاول أن يصبغها ببعض الحماس :

"لماذا هذا الموضوع بالذات يثير كل هذه الضجة بعد أن قطعنا شوطًا كبيراً في تأسيس الحقوق والحريات في بلدنا ؟! هل هذا أكبر من إقرار قانون الحرية الدينية ؟ حرية الإلحاد ؟ هل هذا أكبر من قانون حق الدعارة وإنشاء نقابة للعاملات فيها ؟ هل هذا أكبر من قانون حرية الإجهاض للمرأة متىٰ شاءت ؟ قانون المثليين وإقرار الزواج المثلي والمتعدد ؟ بنوك الحيوانات المنوية ؟ زواج المحارم ؟ هل هذا أكبر من قانون عقاب الوالدين علىٰ تعنيف أبنائهم والفصل بالقوة بينهم ؟

كل تلك القوانين وأكبر منها تم إقرارها في نفس هذا المجتمع.. ولم تستمر الضجة حول أيٍ منها لأكثر من أيامٍ أو شهرٍ علىٰ الأكثر.. وأنتم بأنفسكم كنتم معنا فيها.. فلماذا الآن لا نرضىٰ بهذا النوع الجديد من (الحريات) ونقره في بنود قانوننا العام ؟ لماذا تعيقون رفع سقف الحقوق الشخصية نحو التحرر التام من أي قيدٍ مهما كان ؟

أليس هذا كان هدفنا وهدفكم منذ البداية وفيكم هنا زملاءٌ يتذكرون ذلك ؟ هذا هو سؤالي الذي أشك أنه لديكم إجابةً واضحةً ومحددةً عنه بشرط : الانطلاق من مقراراتنا اليوم.. ومن قوانيننا اليوم.. لا قوانين العاطفة أو رواسب الماضي والتراث العتيق..

انتهيت".

كان المذيع الشاب منهمكاً في الكتابة بيده في الورق الذي أمامه.. وكأنه يدون ملاحظاته وأبرز النقاط التي أثارها الضيف.

وفي الحقيقة كانت كل كتابته هي (شخبطات) لا معنىٰ لها ! إلا سطراً أخيراً كتب فيه سؤال الأستاذ (زكي) بالفعل.. حيث بعد أن أنهىٰ الأخير مداخلته.. قال المذيع وهو ينظر إلىٰ ورقته بشكلٍ يوحي بالخبرة والتخصص في التناول :

"الآن جاء دور الجانب الآخر.. يمكننا أن نسمي الجانب الذي يمثله الأستاذ (زكي) بجانب (الحرية).. والآن نستمع إلىٰ دكتورة (دانا السعيد) من جانب المعارضين لحكم القاضي اليوم.. تفضلي دكتورة (دانا)"..

انتقلت الكاميرات إلىٰ الدكتورة بلباسها المحتشم إلىٰ حدٍ ما.. حيث حركت رأسها إلىٰ الجانب ليتناثر شعرها قبل أن ينساب في هدوءٍ علىٰ كتفها من جديد وهي تقول :

"الحقيقة أنا أشعر بالخزي أستاذ (حاتم).. الخزي من جلوسي هنا أنا ومَن معي لنتناقش في حق قتل إنسان ! الأستاذ (زكي) يتساءل

لماذا هذه القضية بالذات أثارت كل هذه الضجة ؟ بل ويتحدانا أن نجيب عليه.. وأنا أقول له أن الإجابة في كلمتين فقط : لأننا (بشر) ! هل تفهم ذلك ؟ أم لم يعد لـ (إنسانية) مكانٌ عندنا وفي قوانيننا" ؟!

وهنا ضج الاستوديو بصوت التشجيع للموافقين علىٰ كلامها.. مما دفع المعارضين من الجانب الآخر لإحداث أصوات استهجانٍ في المقابل حتىٰ يمنعوا أثر التشجيع علىٰ مشاهدي البرنامج !

"اكملي دكتورة (لينا).. تفضلي".. قالها المذيع في هدوء...

"كما قلت أستاذ (حاتم).. نحن (بشر).. كيف نسمح لمثل هذه المُمارسات الضالة باسم الحقوق والحريات ؟ ماذا عن مشاهدة الأطفال لها ؟ ألم تعلموا بأن الإنسان يولد ومعه ما يدفعه للتقليد بالفطرة ؟ ماذا عن الفقراء الذين يمكنهم أن يبيعوا موافقتهم علىٰ (قتلهم) إلىٰ حفنةٍ من المجرمين الساديين الذين يتلذذون بالقتل ؟ ماذا لو تطور الأمر من مجرد القتل اللحظي بسكينةٍ إلىٰ القتل البطيء ؟ إلىٰ القتل بالتعذيب ؟ وكل ذلك بدعوىٰ موافقة الضحية ! هل تتخيلون حجم المأساة التي نتحدث عنها ها هنا ؟

هذا يعني أن جرائم (الديب ويب) التي كان يتخفىٰ فيها المجرمون والمرضىٰ بالسادية والتعذيب والقتل : يمكنهم اليوم فعلها علنًا وبوجوهٍ مكشوفة ! كل ما عليهم هو إغراء أبٍ مُعدمٍ أو أمٍ فقيرةٍ ومساومتهما علىٰ ثمن قتلهما أو تعذيبهما – أو حتىٰ اعتصابهما : مَن يعلم – وهو الثمن الذي قد لا يتعدىٰ بضعة آلاف !

مأساة والله مأساة.. هل فكرتم في هذا أستاذ (زكي) ؟ أم لا تعيرون لهذه الأفكار وآثارها وتداعياتها المستقبلية أي وزنٍ أثناء اقتراحانا وإقرارانا للقوانين الجديدة ؟!

هذا ما لدي أستاذ (حاتم).. وأريد إجابةً معقولةً منهم.. إجابةً تقنع كل إنسانٍ علىٰ هذا الكوكب.. وليس في بلادنا فقط".

للمرة الثانية تعالت هتافات التشجيع لكلام الدكتورة.. وعندها وضع المذيع الشاب الورق الذي في يده علىٰ المنضدة في حركةٍ مسرحيةٍ توحي بالاهتمام والتركيز وهو يقول :

"أعتقد – عن نفسي – أن الدكتورة هنا من جانب المؤيدين قد أصابت نقاطـًا هامة جداً بالفعل لكل إنسان أستاذ (زكي).. عن نفسي شعرت أنها تتكلم بلساني.. وهذه أول مرة أخرج عن وضعي الحيادي بين الطرفين.. لكن ائذن لي.. سنختار شخصـًا آخر من نفس جانبك للحديث هذه المرة من باب التنويع.. ولتكن سيدةً مثلها.. وهي دكتورة أيضـًا في تخصص التشريع الحقوقي.. الدكتورة (منىٰ كريم).. تفضلي دكتورة.. وأرجو أن تستطيعي في الخمس دقائق أن تجيبي علىٰ هذه الأسئلة الشائكة من الجانب الآخر.. والذي يمكننا أن نسميه الآن جانب (الإنسانية) مثلاً.. تفضلي.... ".

عادت الكاميرات إلىٰ جانب المعارضين لحكم القاضي.. ولتستقر علىٰ صورة دكتورة (منىٰ) التي كانت ترتدي سترة خفيفة تناسب الصيف.. حيث خلعت نظارتها جانبـًا في حركةٍ استعراضيةٍ توحي

بالتمكن والاستيعاب والقدرة علىٰ الرد وهي تقول :

"الحقيقة أشكرك.. بل وأشكر دكتورة (دانا) علىٰ إبرازها لهذه الأسئلة الشائكة.. والتي هي بالتأكيد ما يدور في أذهان الكثيرين ممَن يعارضون عملنا لرفع سقف الحريات في إدارتنا بغير قيود.. لذلك أشكرها أن أتاحت لنا التعليق عليها الآن.

في البداية أود توضيح شيءٍ سيُسهل علىٰ الجميع فهم كيف تجري أمور التشريع عندنا.. ذلك الشيء هو معرفة مبعث التشريع أو أصل التشريع.. مثال : عندما تكون الدولة محكومة بحكمٍ ديني مثلاً أو ثيوقراطي : فمبعث التشريع هنا هو الدين.. ساعتها نقيس الأحكام والقوانين علىٰ مدىٰ توافقها مع هذا الدين أو ذاك.. وبالمثل تماماً : عندما تكون الدولة محكومة بحكمٍ ديموقراطي مثلما استقر عليه حالنا اليوم.. خاصةً في جانبه العلماني والتطبيق الليبرالي البحت لمبادئه : فإن القياس سيتمركز هنا حول حرية كل فرد فيما يريد فعله.. هذا هو الأمر ببساطة.. والآن :

كون هذا الشخص يفعل ما توافقون عليه أو لا : فطالما لم يؤذي أحداً إيذاءً مباشراً : فاعذروني.. هذا تحكم منكم في حريته الشخصية وحقوقه المدنية التي قاتلنا من أجلها لسنواتٍ حتىٰ تستقر في بلادنا.. هذا سيكون تعدياً علىٰ اختياراته الشخصية التي يؤمن بها.

الغريب هنا أنكم تتحدثون عن عملية القتل باستهجانٍ عاطفي.. في حين أنه برضا الضحية نفسها.. والسؤال : ألم توافقوا أنتم أنفسكم

علىٰ قانون حرية (الإجهاض) حتىٰ لو كان الجنين حياً يتحرك ؟ أليست هذه عملية قتل أيضاً ؟ بل هي أوقع مما تعارضونه الآن كون الجنين فيها لم يتكلم ولم يوافق ! ألم تكتفوا برضا المتسبب في قتله وهي الأم فقط ؟! فلماذا هذا الكيل بمكيالين" ؟!

وهنا - ولأول مرة - تتعالىٰ هتافات الممثلين لجانب (الحرية) مشجعين كلام الدكتورة (منىٰ).. في حين أصيب الجانب الآخر ومشجعوه بالخرس التام.. مما دفع الدكتورة للمواصلة :

"كما رأيتم الآن في مثال (الإجهاض) : العبرة في قبول القتل هنا كانت في موافقة الإنسان الحر الواعي المتكلم.. وليست في صمت الجنين العاجز عن الكلام والرفض.. العبرة كانت للأم التي تملك التصرف في جسدها الخاص كما تشاء بكل الحريات التي كفلناها لها.

والآن تعالوا نُسقط هذا المثال علىٰ حالة دكتور (ياسر) وزوجته دكتورة (نيفين).. فنجد أن الطرف الذي سيُقتل : هو بعكس الجنين.. هو طرفٌ حيٌ قادرٌ علىٰ اتخاذ القرار ! امرأةٌ رضيت لنفسها بالقتل علىٰ يد زوجها في الموعد الذي حدداه مسبقاً وأعلنا عنه.. وحتىٰ زوجها : راضٍ بقرارها وسيفعله من أجلها.. فأين المشكلة هنا ؟

هل قالا أنهما سيقتلان شخصاً آخر غيرهما ؟ هل سيعتديان علىٰ شخصٍ ثالثٍ لم يرض بقتل نفسه ؟ أين الإيذاء المباشر علىٰ أي شخصٍ من المجتمع حتىٰ نحكم عليهما بالإدانة ونوقف حقهما في

ممارسة ما اختاراه من حريتهما الشخصية ؟

أنتِ ذكرتِ دكتورة (لينا) خطورة مشاهدة الأطفال لذلك القتل وإمكانية تقليده.. وأنا أقول لك : هذه محاولة منك فقط لإلهاب المشاعر واستجداء عاطفة المستمعين ! وإلا : ماذا عن مئات مشاهد القتل والتعذيب في الأفلام والمسلسلات ومقاطع تمثيل التيك توك واليوتيوب ؟ لماذا لا تعتبرون (القتل بالتراضي) مشهداً تمثيلياً ويمر بسلامٍ علىٰ مَن اختار أن يشاهده ؟ هل قال أحدٌ بأننا سنجبر الأطفال أو الناس علىٰ مشاهدة ساعة القتل ؟ مَن أراد أن يشاهد فليشاهد.. ومَن أراد عدم المشاهدة فلا يشاهد.. الأمر ليس بمعضلةٍ علىٰ الإطلاق إلا علىٰ الذين يريدون اصطناع فوضىٰ وبلبلةٍ من فراغ.. وعليه.. أتوجه أنا وكل مَن معي هنا من أعضاء في إدارة (الحقوق والحريات) : بطلبٍ عاجلٍ إلىٰ كل الجهات المعنية والرسُمية لإطلاق سراح دكتور (ياسر) ودكتورة (نيفين).. والجمع بينهما من جديد.. وإعادة حسابهما علىٰ الفيسبوك واليوتيوب والذين تم إيقافهم.

مع التحذير بأننا لن نصمت أمام هذا الانتهاك الصارخ لكل مكتسباتنا الأخيرة.. فهذه القضية جعلتنا علىٰ المحك أمام حقيقة ما نسعىٰ فيه منذ سنوات.. هل سنكمل انطلاقاتنا في سقف الحريات بلا حدود ؟ أم أنه هناك استثناءات وتراجعات يمكنها هدم كل ما بنيناه ؟ وأكتفي بهذا القدر.. وشكراً لك أستاذ (حاتم).. والشكر لكل المشاهدين".

وعلىٰ الفور علت عاصفةٌ من التصفيق والتشجيع من جانبها الـذي مثلته.. في حين خيم الصمت التام علىٰ الجانب الآخر الذي بـدا عليـه أنه أسقط في يده وأقيمت عليه الحُجة.. حتىٰ المـذيع الشـاب شـعر أن الحلقة انتهت أسرع مما توقع..!

وفي هذه اللحظة رفع أحد الجالسين في جانـب (الإنسـانية) يـده.. بدا وكأنه لديه كلمة أخيرة في الموضوع..

وكالملهوف أشار إليه المذيع وقـد شـعر بـأن وقـت الحلقـة سـيمتد قليلاً في صالحه.. فقال في لهجةٍ حاول أن يضفي عليها الاتزان :

"يبـدو أنـه لـدىٰ الأسـتاذ (أكـرم) هنـا كلمـةً أخـرىٰ.. تفضـل أسـتاذ (أكرم).. الوقت لا زال يتسع للمزيد من الآراء والتعقيبات".

توجهـت الأنظـار إلـىٰ الرجـل – حتـىٰ مـن الجالسـين بجانبـه – ينتظرون بشغفٍ جميعـًا ما سيدلي بـه.. كـان بـدينـًا إلـىٰ حـدٍ مـا.. وقـد تصبب بعض العرق البسيط علىٰ جبينه من رأسه الأصلع.. فقال :

"الحقيقة كلام دكتورة (منىٰ) فيه بعض الحـق.. ونحـن لا نعتـرض علىٰ ما أسسنا به إنجازاتنا معـًا طيلـة السنوات الماضـية.. ولـن ننسـىٰ أبداً أو نتنصل من مبادئنا التي ناضلنا معـًا من أجلها.. مـا أود قولـه هنـا هـو أن دكتـورة (منـىٰ) والجانـب الـذي تمثلـه : انطلقـوا مـن مُسـلّماتٍ معينة ليبنوا عليها كلامهم.. في حين لم نتحقق منها بعد.. يعني مثلاً :

من أين لنا الحُكم علىٰ صدق ادعاء دكتورة (نيفين) بأن قـرار قتلهـا من زوجها نابعٌ من قناعتها الشخصية التامة ؟ ما دليلنا علىٰ أنها ليست

واقعة تحت ضغطٍ من زوجها مثلاً ؟ كلنا يعلم ما أصابهما في ابنتهما (جنا).. منذ حادثها في المدرسة وحملها إلىٰ انتحارها.. العقل هنا يُرجح عتاب دكتور (ياسر) لزوجته كونها المفترض كانت الأقرب لابنتهما ومراقبة أحوالها.. والسؤال : لماذا لا يكون دكتور (ياسر) وهو رجلٌ مُخضرمٌ في القانون والتشريع وذو ذكاءٍ عالٍ قد أثر علىٰ زوجته بطريقةٍ أو بأخرىٰ ؟ قد يكون استخدم حيلةً ما معها لإقناعها مثلاً بضرورة التكفير عن هذه الخطيئة في حق ابنتيهما.. كل ذلك أنا أؤيده بشدة نظراً للمُعطيات.. ولهذا أنا مع حُكم القاضي بكل تفاصيله.. من أول الفصل الفوري بين الزوجين وحبسهما.. وإلىٰ ضرورة الكشف من متخصصٍ نفسي عليهما.. بل واسمحوا لي تعميم ذلك علىٰ كل حالةٍ مُماثلة.. أي الكشف النفسي والتحري علىٰ كل مَن يوافق علىٰ قتله من جهة شخصٍ آخر.. بحيث لا تتم الموافقة علىٰ الحالات التي فيها خداع فكري أو التغرير بقاصرٍ مثلاً أو استغلال لفقير.. هذا ما كان لدي أستاذ (حاتم).. وأردت فقط تبيانه لأنه في نظري الشخصي : يمثل قراراً وسطًا يرضي الطرفين".

في هذه المرة لم يعلق أحد من المشجعين الجالسين مع الجانبين.. لم تصدر أي أصوات تشجيعٍ أو استهجان.. الكل نظر إلىٰ المذيع وإلىٰ الجانب الآخر – جانب (الحرية) – ليرىٰ ردود الفعل علىٰ هذا الكلام..

وهنا رفعت دكتورة (منىٰ) يدها قائلةً :

"أود الإجابة علىٰ كلام الأستاذ (أكرم) إذا سمحت"..

وقبل أن يشير إليها المذيع الشاب بالموافقة.. سبقه أستاذ (زكي) الذي يجلس قريباً منها قائلاً :

"لو أذنتم لي وأذنت لي دكتورة (منىٰ).. فإني أود الرد هذه المرة عليهم.. لأني سألتهم سؤالاً في البداية ولم يجيبوا عليه إلىٰ الآن.. فلدي تعليق وتعقيب علىٰ كل ذلك.. بما فيه كلام أستاذ (أكرم) الأخير.. فهل تأذنين لي يا دكتورة" ؟

أشارت إليه دكتورة (منىٰ) بالموافقة.. فقال في لهجة استعلاء :

"كنت سألتكم عن سببٍ واحدٍ لرفض حرية دكتور (ياسر) ودكتورة (نيفين) فيما اختاراه لأنفسهما من اختيارٍ شخصي لا يؤذي أحداً.. واشترطت عليكم أن يكون ردكم من نفس منطلقاتنا التي تتفقون معنا عليها من إقرار (الحقوق والحريات) : لكنكم عجزتم عن الرد.. ففي المرة الأولىٰ تحدثت دكتورة (لينا) بشكل عاطفي.. وقد أجادت دكتورة (منىٰ) في الرد عليها وقلب الطاولة علىٰ حُججها كما نقول.. حتىٰ إذا سكت الجميع معلنين صحة منطقنا نحن وأن الحق معنا : عاد الأستاذ (أكرم) ليعرض عرضاً باهتاً – وليعذرني في هذا الوصف – لتمييع الوضع.. مما يجعلني أتعجب حقاً :

من أسس الحرية ألا نحَجْر أصلاً علىٰ أي إنسانٍ ولو فقيرٍ أو معدوم من أن يفعل في نفسه وجسده وحياته ما يشاء ؟ أنا معكم في منع (إجباره) علىٰ شيء.. لكنني لست معكم في منعه من شيء لم

يشتكي منه في جسده أو حياته.. هذه ليس لنا التدخل فيها وإلا : لماذا لا تمنع ملايين الفقراء من عمليات التبرع بالأعضاء التي يتربحون من بيعها بكامل إرادتهم إلىٰ الأغنياء والمحتاجين ؟ هاه ؟ أخبرني"...

وهنا عاد النشاط من جديد ليدب في الاستوديو بتشجيعٍ وتصفيقٍ مفاجيءٍ من جانب (الحرية).. فواصل الأستاذ (زكي) :

"ليس لي ولا لك منع أي أحدٍ من فعل أي شيءٍ في جسده وحياته بحُجة النظر إلىٰ دوافعه الشخصية ! لماذا إذن وافقت أنت والدكتورة (لينا) علىٰ قانون الدعارة رغم أنه يستغل حاجة الكثير من الفقيرات ؟ لماذا لم تأمر بكشفٍ نفسيٍ لكل أولئك المتبرعين بأعضائهم والعاملات في الدعارة أو دراسة حالة كل منهم كما تقول" ؟

تواصل التصفيق الحار وصياحات التشجيع من جانبه ومن خلفه.. فواصل في نشوةٍ ظاهرةٍ علىٰ ملامحه :

"العجيب أكثر هو تشكيكك في نفسية أو عقلية دكتور (ياسر) والدكتورة (نيفين).. وهي محاولة مكشوفة لإضعاف حُجة أفعالهما وقراراتهما.. ونسيت أو تناسيت أن دكتور (ياسر) مختصٌ في التشريع شهد له القاصي والداني برجاحة عقله.. بل وكان من القلة القلائل المؤتمنين رسمياً علىٰ وضع لائحة (الحقوق والحريات).. وخاض عشرات الصراعات إلىٰ أن تم تحقيق وإقرار أغلب بنودها في شكل قوانين.. فمَن هذا الذي يمكنه التشكيك في عقلية الرجل أو نفسيته اليوم ؟ حتىٰ مع الأخذ في الاعتبار ما حدث لابنته ؟

وكذلك الأمر مع الدكتورة (نيفين).. دكتورة أسنان محترمة.. تقوم بالتدريس في الجامعة.. وفي نفس الوقت تمارس عملها في عيادتها الخاصة.. فهل تستطيع أن تخبر الآلاف من الطلبة الذين درّست لهم وآلاف الذين عالجتهم بأن دكتورتهم المُبجلة مُختلة عقليًا أو نفسيًا ؟ ما هذا العبث" ؟!

وهنا تصاعدت صيحات التشجيع من جديد.. والتي طغت علىٰ صوت المخرج في السماعة الصغيرة في أذن المذيع:

"(حاتم).. (حاتم)"..

بدت علامات الانتكاسة علىٰ وجوه جانب (الإنسانية) من جديد.. فواصل أستاذ (زكي) هجومه الكاسح بلا هواده :

"وحتىٰ مع الوضع في الاعتبار ما حدث لابنتيهما (جنا).. فهل رأيتم دكتور (ياسر) مثلاً يشد في شعر رأسه ؟ هل رأيتم الدكتورة (نيفين) مزقت ملابسها ونزلت تعدو في الشوارع ؟ الحزن في القلب.. أما أي قرارٍ شخصي فهو ناتج عن حرية اختيارٍ خاصة بكل إنسان..

ومن هنا : فأنا الذي أطالب المسؤولين بضرورة نشر مقابلة المختص النفسي لهما علىٰ الهواء كما حدث أثناء المحاكمة.. ما الذي يدرينا أنه لن يتم الضغط عليهما أو التلاعب بنتيجة الكشف ؟ هذا هو العدل الذي نعرفه..

نريد بثًا مباشراً لكشف المختص عليهما : وإلا انهارت كل ثقتنا

في الجهات المعنية للأسف.. ولَحُقَّ ساعتها لكل معترضٍ علىٰ قوانيننا أن يستأنف عليها.. وأن نعود بذلك جميعًا إلىٰ نقطة الصفر.. إما الحرية التامة وإما لا.. اليوم بلادنا صار يُضرب بها المثل بأنها الوحيدة (عالميـًا) التي استطاعت جمع كل تشريعات (الحقوق والحريات) من كل حدبٍ وصوبٍ تحت سقفٍ واحد ! وهو ما لم تستطيعه أي بلدٍ أخرىٰ في العالم.. الكل اليوم ينظر إلينا وقد أخذنا طريق التقدم والحضارة من أعلاه.. فلا تشوهوا صورتنا أمام العالَم" !

وهنا التهب الاستوديو بالهتافات المؤيدة له :

"الحرية.. الحرية"..

"نريد بثًا مباشراً"...

"العدل .. نريد العدل"..

وفي أثناء الكلام الأخير للأستاذ (زكي) كان المذيع قد سمع نداء المخرج إليه : "(حاتم).. (حاتم).. انهِ اللقاء بسرعة"..

لكنه شك فيما سمعه.. فقال في الميكروفون المثبت في ياقته :

"ماذا يا (سامي) ؟ ماذا تقول ؟ لم أسمعك جيداً ؟ هل تطلب مني إنهاء اللقاء" ؟

لم يتلق رداً.. فاستغل صياح جانب الجمهور المؤيد للأستاذ (زكي) ليقوم من مقعده ويتراجع خطواتٍ قليلة إلىٰ الخلف قائلاً بصوتٍ أعلىٰ :

"(سامي).. هل تطلب مني إنهاء اللقاء" ؟!

وعلىٰ الفور جاءه الرد بصوتٍ سمعه في وضوح :

"نعم.. نعم.. بسرعة.. هذا وقتٌ مناسبٌ الآن.. أوامر عُليا" !

عاد المذيع الشاب إلىٰ دائرة الجلوس بين الضيوف مجدداً وهو يشعر ببرودةً تسري في أطرافه فجأةً بعد كلمة (أوامر عليا).. ولعله كان يحدث نفساً قائلاً :

"أوامر عليا ؟ أوامر عليا كما يحدث في الأفلام" ؟!

لكنه كان وقتاً مناسباً بالفعل لإنهاء اللقاء في وقتٍ قياسي : لم يعتد عليه المشاهدون إلا في حال وقعت مشادة أو مشاجرة بين الضيوف !

❋ ❋ ❋

جولة في أخبار ما بعد المُحاكمة

موقع (لايت ستار نيوز) العالمي : الحُكم في قضية (القتل بالتراضي) يشعل مواقع التواصل الاجتماعي العالمية من جديد – كتبت (إيما ريكارد) :

لا زالت أصداء الحُكم بفصل الزوجين في قضية (القتل بالتراضي) تثير مواقع التواصل الاجتماعي بنقاشاتها الحادة.. والتي اشترك فيها مئات الآلاف من المتابعين العاديين في جميع المنصات.. وكذلك اشترك فيها بعض المفكرين العالميين اليوم مثل البروفيسور (جون ليما آندي) والبروفيسور (تامي ريكسون) والبروفيسور (جاك نيل).

***

موقع جريدة (نيشان وان) الأمريكي : الحُكم علىٰ الزوجين بالإدانة في قضية (القتل بالتراضي) يُخفِّف من حدة الانتقادات التي توجهت إلىٰ شركتي يوتيوب وفيسبوك بعد غلقهما لقناة اليوتيوب ومجموعات البث المباشر للزوجين الأسبوع الماضي.

***

جريدة (أصوات وأخبار) : جدل كبير بعد حلقة برنامج (برنامجكم) بالأمس.. وصعود كبير لتريندات قضية (القتل بالتراضي).. وأنباء عن استجابة المكتب الأعلىٰ لمطلب البث

المباشر للقاء المختص النفسي بالزوجين – كتبت (نيفين عوض) :

وصلت تريندات قضية (القتل بالتراضي) بالأمس إلىٰ أرقامٍ خيالية علىٰ مواقع التواصل الاجتماعي بعد الحُكم الأخير بالفصل بين الزوجين.. ومنذ إثارة المدعي العام للقضية الشهر الماضي.. وتتزايد الأنباء عن المسيرات الاحتجاجية مساء اليوم للمطالبة بالإفراج عن الزوجين.. والجمع بينهما.. وإذاعة البث المباشر للقاء المختص النفسي المرتقب بهما بعد أيام..

❋ ❋ ❋

صحيفة (الوادي الصاعد) : القبض علىٰ شابٍ وفتاة لتمثيلهم عملية قتل وهمية علىٰ غرار طريقة (القتل بالتراضي) عبر بثٍ مباشر.

❋ ❋ ❋

موقع جريدة (اقتناص) : الحُكم بالقتل في قضية (القتل بالتراضي) الشهيرة ! – كتبت (رؤىٰ طاهر) :

مع حُكم القاضي بإدانة وحبس الزوجين صاحبا قضية (القتل بالتراضي) الشهيرة وبالفصل بينهما : تم قتل محاولتهما لإثارة البلبلة والفوضىٰ.. وتم وأد محاولة إخلالهما بالنظام العام.

❋ ❋ ❋

النعيم الصافي

"(ياسر).. (ياسر).. أنت هنا ؟ ظننتك ذهبت إلىٰ العمل" ؟!

قالتها دكتورة (نيفين) في دهشةٍ بعد أن استيقظت علىٰ صوت ضحكاته الساعة العاشرة صباحاً..

"هذه (العكروتة) الصغيرة لم تتركني أذهب إلىٰ العمل.. انظري ماذا تقول" ؟

توجه دكتور (ياسر) إلىٰ ابنته (جنا) وهو يصورها فيديو بهاتفه ليطلب منها تكرار ما قالته له.. فقالت الصغيرة بلغتها الطفولية :

"بابا مش يروح ويسيب (جنا).. بابا (جنا) ازعل.. اخرج باي".

لم تتمالك دكتورة (نيفين) نفسها من الابتسام.. في حين قال دكتور (ياسر) ضاحكاً وهو يضع الهاتف جانباً :

"أنت تسمعينها الآن هكذا.. في حين قالتها لي وقد قاربت علىٰ البكاء الحقيقي.. لقد اعتصرت قلبي بنظراتها الحزينة".

أدارت دكتورة (نيفين) عينيها في الشقة بحثاً عن بقايا طعامٍ من الأمس تصلح للإفطار.. ثم توجهت في كسلٍ إلىٰ المطبخ قائلةً :

"علىٰ هذا سوف يتم إقالتك قريباً من منصبك.. ولتجلس معها أوقاتاً أطول ! أنت تمزح بالتأكيد يا (ياسر).. هذه ليست المرة الأولىٰ التي تتخلف فيها عن العمل بسبب (جنا).. صدقني قد لا يتحملونك في مقر الإدارة الجديدة كثيراً".

حمل دكتور (ياسر) ابنته عالياً ليدور بها في مكانه.. وهي تضحك في براءةٍ وتمسك بيديها الصغيرتين شعره من الجانبين.. ثم أجاب باقتضابٍ وهو يعلم أن زوجته حاولت إخفاء لهجتها الجادة في طيات الكلام :

"أعلم حبيبتي.. أعلم كل ذلك.. لكن ماذا أفعل في هذه (العكروتة) ؟ لقد أسرت قلبي تماماً.. أشعر معها بلحظاتٍ من النعيم الصافي".

توقف دكتور (ياسر) قبل أن يفقد توازنه من الدوران.. وضع ابنته علىٰ الأرض وفتح الهاتف ليصورها من جديد.. جلس علىٰ أحد مقاعد منضدة الطعام.. وابتسم وهو يقدّم لها طبق الفاكهة الصناعية التي تلعب بها وتقضمها بأسنانها الصغيرة.. ثم قال وهو يصورها :

"تعرفين يا (نيفين).. أحياناً أريد أن يتوقف الزمن وأنا معها.. صدقيني هذه ليست مبالغة.. أشعر وكأني بلغت السعادة التامة التي يبحث عنها أي إنسان.. طفلةٌ بريئةٌ تجري وتلعب وتضحك معي بلا أية تعقيداتٍ أو مشاكلٍ أو همومٍ أو صراعات"..

كانت دكتورة (نيفين) قد وصلت إلىٰ باب المطبخ بالفعل.. لكنها توقفت فجأة مع كلماته الأخيرة لتقول في غيرةٍ واضحةٍ :

"عجيبٌ أمرك يا (ياسر).. وتقول هذا الكلام لي.. في وجهي" !

تنبه زوجها لما أثاره من غيرةٍ لديها فقال مبتسماً :

"أليس هذا أفضل من أن أقوله من خلف ظهرك" ؟

لم تتأثر بمزاحه بل استمرت قائلة في اقتضاب :

"لقد سمعت كثيراً عن حب الأب لابنته.. وأنه سيحبها أكثر من زوجته.. كنت أظنها مبالغات متوارثة في المجتمع.. إلىٰ أن شاهدتها أخيراً.. أنت لم تقل لي حتىٰ عُشر هذا الكلام من قبل" !

قالتها وهي تعبث في بعض الزهور البلاستيكية علىٰ طاولة ديكورٍ مرتفعةٍ بجانب الجدار في طريق المطبخ.. وفي هدوءٍ توجه إليها زوجها محاولاً إصلاح الموقف بكياسةٍ.. فقال وهو يحتضنها من الخلف :

"دومـًا أنتن هكذا.. الغيرة تقتلكن حتىٰ من الفتيات الصغيرة ! يا حبيبتي ومَن الذي أهداني بهذه الهدية ؟ أليس أنتِ.. ومَن التي تشبهها (جنا) ؟ أليس أنتِ .. أنتِ الأصل هنا صدقيني".

فشلت محاولته في تغيير حال زوجته التي تغلبت عليها روح الحزن الحقيقي قائلةً :

"كلامك جميل يا (ياسر).. لكنه ليس حقيقي وأنا أعرف.. أنت لا ترىٰ نفسك وأنت معها.. ضحكتك تملأ وجهك بصدقٍ لم أعد أراه منذ شهورنا الأولىٰ من الزواج.. يا ليتني كنت أخرت ولادتها عامـًا أو عامين.. الحسنة الوحيدة فيها أنها غيّرت تعاملك معي وتقديرك لظروفي إلىٰ الأحسن.. لم تعد تصرخ فيّ أو تضرب".

رمىٰ الدكتور (ياسر) إلىٰ ابنته بدميةٍ صغيرةٍ من ديكورات الصالة لتلعب بها.. كانت لحظة حيرةٍ من التي يمر بها كل زوج.. هل يواصل

كلامه بالعقل مع زوجته ؟ أم يُصانعها بالعاطفة ؟!

"كلامك صحيح (نيفين).. وأنا أعترف أن حبي لـ (جنا) وقربي منها جعلاني أعيد التفكير في الكثير من سلوكياتي معك.. حيث تخيلت نفسي مكان والدك.. فشعرت بالضيق ما إذا عرف ما أفعله معكِ أحياناً.. بالتأكيد كان يحبك ويدللك مثلما أفعل مع (جنا) الآن..

بالتأكيد كلنا نملك أفكاراً خاطئة.. وليس عيباً أن نتغير إلىٰ الأحسن.. وأنا أعترف بأني لم أكن أعرف كثيراً عن نفسية الأنثىٰ إلىٰ أن جاءت (جنا).. صرت أكثر تفهماً لعقل وعاطفة المرأة.. وأنها أجمل شيءٍ في الكون.. أكثر كائنٍ عاطفيٍ يمكن أن يراه الرجل !

اعذريني مرةً أخرىٰ (نيفين).. حقيقي".

قالها دكتور (ياسر) صادقاً.. وقد شعرت زوجته بهذا الصدق الذي لامس قلبها فأقنعها.. ولقد همَّت بالعودة إليه واحتضانه.. حتىٰ قطعت (جنا) عليها الطريق لتحتضن قدميه أولاً..!

"لا فائدة يا (عكروتة)".. قالتها دكتورة (نيفين) في نفسها.. قبل أن توجه كلامها المسموع إلىٰ زوجها قائلةً في حنان :

"لا عليك (ياسر).. أنا أصدقك.. وعذرك مقبول".

ثم دخلت إلىٰ المطبخ لإعداد الفطور في يوم إجازتها من الجامعة.

* * *

المطرقة والسندان

في مكتب البروفيسور تواجد دكتور (رأفت) للمرة الثانية في يومين متتاليين.. وهو ما لم يحدث منذ سنواتٍ وقت وضع المسودة النهائية لإقرار قوانين (الحقوق والحريات) !

هذه المرة لم يكونا بمفردهما.. بل انضم للدكتور (رأفت) كل من الدكاترة (هالة) و (كريم) و (مازن).. وهم من صفوة العاملين بالإدارة منذ سنوات مثلما كان (ياسر).. جلسوا جميعًا حول طاولة الاجتماع الإيطالية في أحد جوانب مكتب البروفيسور الواسع.

كان وجه البروفيسور متجهمًا علىٰ غير عادته.. مما دفعهم لرسم ملامح الجدية علىٰ وجوههم تضامنًا مع الموقف الذي استشعروا جميعًا خطورته مؤخراً.

"بدون مقدمات.. المكتب الأعلىٰ طلب مني تحديد موقفنا اليوم.. بل الآن.. ولذلك جمعتكم.. الأمر خطير.......... نعم.. أعلم أنك حذرتني يا (رأفت).. لكن للأسف : كان لدينا سوء تقديرٍ في تصور تسارع الأحداث.. الآن لا نعاني فقط من اهتزاز صورتنا أمام الشارع والإعلام بانقسامنا الداخلي مع أو ضد (ياسر) وزوجته.. بل المعاناة الأكبر أن الموضوع يتطور سياسيًا وعلىٰ مستوىٰ الجمهور".

همّ دكتور (كريم) بالتعليق فرفع يده بالفعل.. إلا أن البروفيسور واصل كلامه متعمداً ومقاطعًا له في غير اكتراث:

"أنتم تعلمون أن المكتب الأعلىٰ والسياسة العامة في البلد لا تلقي بالاً لهذا ولا ذاك.. لا يهمها إن احترقت دكتورة (نيفين) أو تم تقطيعها إلىٰ أجزاء.. لا يهمها سقوطنا نحن أنفسنا أو نجاحنا.. بل لا يهمهم حتىٰ القوانين التي ناضلنا سنواتٍ طويلة لنحوزها في النهاية.. كل ذلك يصير بلا وزنٍ أمام خطورة البلبلة وإثارة الرأي العام وما ينجم عنها من مناوشاتٍ سياسيةٍ ودعواتٍ للتظاهر هنا وهناك..

البعض يستغل مواقف أقل من هذه لتقليب الناس علىٰ البلد.. فما بالنا بموقفٍ كهذا يرىٰ فيه الملايين إهانةً لكرامة الإنسان بقتله ؟ تلك الملايين التي أجبرتنا علىٰ إذاعة محاكمة الدكتورين علىٰ الهواء مباشرةً.. وهي أيضًا التي تطالب اليوم بإعادة النظر في قوانين (الحقوق والحريات).. خاصةً بعد حلقة أمس لهذا المتخلف (حاتم).. وما أثارته من جدلٍ تصاعد بسرعة الصاروخ إعلاميًا وعلىٰ وسائل التواصل.. لقد منعنا الحديث في القضية إعلاميًا".

سكت الجميع للحظاتٍ وهم يفكرون في هذه الورطة.. فأخذ دكتور (رأفت) دفتراً صغيراً عليه شعار الإدارة من أمامه.. وفتحه ليخط فيه بعض الكلام.. فتوجه إليه البروفيسور سائلاً في توتر :

"دكتور (رأفت).. ماذا تكتب" ؟

كان يرغب في الرد عليه دون أن يرفع رأسه عن الورقة.. لكنه خاف من الإحراج.. فنظر إلىٰ البروفيسور قائلاً :

"أحاول كتابة مميزات وأضرار كل قرارٍ من القرارين علينا".

فواصل البروفيسور أسئلته باهتمامٍ قائلاً :

"فكرةٌ ممتازة.. وإلىٰ ماذا توصلت" ؟

"هذا ما أنظر فيه الآن.. وأريد منكم التقييم معي حتىٰ نسجل كل نقطةٍ في مكانها ثم نوازن بين الأمور في النهاية".

أبدىٰ الجميع موافقته علىٰ هذا الحل العملي السريع.. فأخذ دكتور (رأفت) المبادرة بالكلام قائلاً :

"الآن إذا سايرنا (ياسر) و(نيفين) فيما يودان فعله : فهناك نقاط إيجابية.. مثل إبراز قوتنا كمؤسسة وكإدارة فيما تم إقراره من قوانين لـ (الحقوق والحريات).. ولأثبتنا أن عملنا كان نهائياً غير قابلٍ للاستثناء أو التنازل.. ولأرضينا أيضاً الشرائح التي آمنت برسالتنا خلال كل معارك السنوات الماضية سواء من داخل البلد أو خارجها.. والذين دعمونا بكل أنواع الدعم في شتىٰ مواقفنا.. سواء الدعم المادي التمويلي الضخم.. أو الدعم الإعلامي.. ناهيكم عن التثبيت المعنوي لملايين الشباب الذين بدأت ثقتهم بفلسفة الحريات تهتز.

وأما النقاط السلبية في مسايرتنا لما يريد فعله (ياسر) و(نيفين).. فهي الإثارة القصوىٰ للرأي العام المحتقن أصلاً ضد أكثر قوانيننا منذ سنوات.. فلا شك أنه ما إن هدأت تلك الذوبعات حتىٰ أعاد (ياسر) إشعال الموقف من جديد انتقاماً لابنته.

وبذلك.. فإن رد الفعل المجتمعي هذه المرة سيكون أكبر بكثير للأسف.. وهذا ما يخيف المكتب الأعلىٰ بالتأكيد بروفيسور.. ولهذا

تواصلوا معك.. يخافون أن لا نتمكن من خداع تلك القوىٰ الثائرة إعلامياً كما فعلنا من قبل.. إذ هناك حداً معلوماً لما يمكن احتوائه من الرأي العام الثائر علىٰ وسائل التواصل.. وإذا تخطت الأعداد الغفيرة هذا الحد : فإن الأمر يوشك علىٰ الانهيار".

سكت دكتور (رأفت) قليلاً وكأنه يراجع ما قاله حتىٰ لا ينسىٰ شيئاً.. ويفكر فيما يمكن إضافته.. فقام البروفيسور بالتعقيب للتأكيد علىٰ كلامه قائلاً في قلقٍ واضح :

"المشكلة أنهم توجهوا إلينا قبل المُحاكمة يطلبون مشورتنا.. وكنا ساعتها.. أو للدقة والأمانة : كنتُ ساعتها.. أتوقع أنه بمجرد حبس (ياسر) وزوجته وفصلهما عن بعضهما سيهدأ الرأي العام.. لكن مناوشات التواصل الاجتماعي المتزايدة ثم ما حدث في برنامج هذا الأهوج (حاتم) بالأمس : وضعت البنزين علىٰ النار بعد أن كادت تخبو.. لقد أثار نقاشهم جميع الأطراف المعنية إلىٰ حد الجنون !

فمن جهةٍ : أبرز التشكيك في منظومة (الحقوق والحريات) بأكملها.. إذ : لم يُقدم القاضي أي حيثية قانونية وفق التعديلات والإقرارات الأخيرة لتدعم حكمه.. فقط كلامٌ عامٌ لا تخفىٰ سطحيته علىٰ أي مثقف.. وهو ما جعل الناس يتساءلون حوله اليوم :

إذا كانت قوانينكم لا تسري في القضاء.. فلماذا أجبرتمونا عليها وفرضتموها فرضاً علىٰ المجتمع الرافض لها أصلاً.. لماذ....."

وهنا قاطعت دكتورة (هالة) البروفيسور قائلة في اعتدادٍ بنفسها :

"لو سمحت بروفيسور.. لا تقل أن المجتمع رافض لها.. لولا إيماننا بأن هذه القيم هي (الأفضل) للمجتمع ما كنا أقررناها.. حتىٰ لو بدىٰ لهم أنها (الآن) في غير صالحهم أو تؤذيهم.. سيكتشفون فائدتها (غداً) علىٰ المدىٰ البعيد بعد أن.... ".

وهنا خرج البروفيسور عن شعوره ليصرخ فيها :

"الآن يا (هالة) ؟ هل هذا وقت مثل هذا الكلام الآن" ؟!

انكمشت في نفسها وقد فوجئت بردة فعله العنيفة.. فالتزمت الصمت..

أخذ البروفيسور نفساً عميقاً ليهدأ قليلاً.. ثم قال محاولاً إضفاء الاتزان علىٰ نبرات صوته المضطربة :

"ماذا لديك أيضاً يا (رأفت).. هل لديك شيئاً تضيفه" ؟

نظر دكتور (رأفت) إلىٰ الصفحة أمامه وهو يفكر.. ثم تذكر شيئاً فجأةً فقال :

"هناك سلبية أخرىٰ في مسايرة ما يريده (ياسر) و (نيفين) للأسف.. وهي أننا سنجذب بذلك أنظار العالم كله إلينا أكثر وأكثر.. حتىٰ من نفس معسكرنا الحقوقي.. فنحن أول مَن يواجه مثل هذه الحالة رسمياً في أي بلدٍ أعرفه يرفع شعار (الحقوق والحريات) مثلنا".

"(ياسر) هذا داهية.. لقد أدىٰ لعبته بشكلٍ صحيح.. اللعنة" !

قالها دكتور (مازن) وهو يمسح بيده علىٰ سطح طاولة الاجتماع..

حيث امتزج الإعجاب بالغيظ في كل حرفٍ من حروف عبارته.

"لا أنكر ذكاء (ياسر) بالطبع.. وهذا ما حاولت أن أحذركم منه في البداية.. ولا زلت عند رأيي : يجب التخلص في أقرب فرصةٍ من (ياسر) أو (نيفين) أو كليهما.. كل يومٍ يمر علينا الآن.. بل كل ساعة : سنزداد غوصاً في المستنقع الذي وضعه أمامنا.. وسيصير الخروج بعد ذلك من أصعب الصعوبات".

قالها دكتور (رأفت) وهو يقلب صفحة الدفتر منتقلاً إلىٰ صفحةٍ أخرىٰ فارغة.. فقال البروفيسور في ضيق :

"يعني الآن نحن مُعرضون أيضاً لتدخل الأطراف الخارجية في المعادلة.. خصوصاً بعد القضايا التي رفعها حقوقيون ومفكرون في نفس صفنا علىٰ شركات فيسبوك ويوتيوب ! هذا أعطىٰ زخماً عالمياً أكبر من ذي قبل للقضية.. وقام بتسليط بقعة الضوء والترقب علينا.. الضغط الآن داخلياً وخارجياً.. أشعر أننا قد وقعنا بالكامل بين المطرقة والسندان.. ما المخرج ؟ كيف الخروج" ؟!

تراجع دكتور (كريم) بمقعده إلىٰ الخلف قليلاً قائلاً :

"دعونا لا نضيع وقتنا.. ولنكمل ما بدأه (رأفت).. فقد رأينا الآن إيجابيات وسلبيات مسايرتنا لما يريده (ياسر) وزوجته.. ماذا عن إيجابيات وسلبيات رفضنا له" ؟

وقبل أن يتحدث دكتور (رأفت) رد عليه دكتور (مازن) :

"الأمر واضح بعد سرد (رأفت) للنقاط السابقة.. ما علينا إلا تخيل

عكسها.. فإيجابيات الرفض : هي تهدئة الرأي العام المتزايد ضدنا.. وبالتالي تهدئة الضغط علينا من جانب المكتب الأعلىٰ.. بالإضافة إلىٰ ظهورنا بمظهر (إنساني) إلىٰ حدٍ ما : رداً علىٰ كل اتهاماتنا بالمادية في التعامل والتفكير مع البشر.

أما السلبيات : فستنصب كلها علينا.. سنخسر مصداقيتنا أمام كل مَن أعطونا أصواتهم ودعمهم في الداخل والخارج.. بل : وربما نبدأ في خسارة بعض القوانين التي أقررناها رسمياً منذ شهورٍ فقط ! لأنه إذا كان هناك استثناء لقيمة (الحقوق والحريات) في حالةٍ مثل حالة (**ياسر**) و (نيفين) : فلماذا مثلاً لا يبدأ الطعن في قوانين الطفل ؟ الطعن في تقنين الدعارة والمثلية ؟ حق الإجهاض ؟ القتل الرحيم" ؟

سكت دكتور (مازن) ولم يكن في حاجة إلىٰ استمرار تعديد ما يمكنهم فقده في الأيام المشتعلة القادمة..

كانت أيديهم مضمومةً تكاد تعتصر كل منها الأصابع مع تخيلهم لهذه الخسارة التي تنذر بانهيار كل شيء !

وهنا زفر البروفيسور زفرةً وكأنها حملت حرارة جوفه إليهم جميعاً قائلاً في لهجةٍ أقرب للاستسلام :

"أنا الآن أريد حلولاً.. المكتب الأعلىٰ ينتظر ردي بعد ساعتين.. ماذا أقول لهم ؟ لم أعد قادراً علىٰ التفكير.. ولذلك جمعتكم" !

وهنا تدخلت دكتورة (هالة) في ترددٍ خوفاً من رد فعلٍ جديدٍ :

"ماذا عن استخدام القوة والتهديد مع (ياسر) وزوجته ؟ يعني أنا

أسـمع كثيـراً عـن طـرق التعذيـ.... أقصـد... طـرق الضـغط علـىٰ المحبوسين لاستخراج اعترافاتٍ معينةٍ مثلاً ونحو ذلك.. لماذا لا نستخدم هذه الطرق في إثناء (ياسر) و(نيفين) عن هذه الزوبعة التي ابتدعوها وقلبت لنا الأمور" ؟!

كان سؤالاً وجيهـًا.. التفتت فيه الأنظار إلىٰ البروفيسور تحمل نفس التساؤل.. فرد في لهجةٍ شبه يائسةٍ :

"لقد فكرتُ في ذلك أيضـًا.. رغم أنه يتعارض (ظاهريـًا) مع مبادئنا.. لكن بعض الكيّ بالنار يكون علاجـًا نافعـًا لصاحبه ! المشكلة هنا هي فيما أثاره برنامج أمس لهذا المعتوه (حاتم).. إذ لم تمض ساعات حتىٰ صعدت أقوىٰ الترينـدات والهاشتاجات علىٰ وسائل التواصل : لتنادي أكثرها بضرورة بث مقابلة المختص النفسي لـ (ياسر) وزوجته".

سكت البروفيسور للحظة ثم عاد قائلاً في نظرةٍ ذات مغزىٰ :

"هل تعلمون كم بلغت قوة هذه الترينـدات والهاشتاجات ؟ أم لم يكن لديكم وقتٌ لمتابعة كل ذلك" ؟!

رد دكتور (رأفت) في ضيقٍ بدوره من هذا التلميح الأخير :

"يا بروفيسور.. نحن من أول هذه الأزمة ونتابع عشرات البرامج والقنوات والأخبار.. حتىٰ الترينـدات التي تتحدث عنها لاحظناها بالأمس فعلاً.. لكن ليس من وظيفتنا الإحصاء والمقارنة" !

ضرب البروفيسور بيديه علىٰ طاولة الاجتماعات فجأةً في حركةٍ

أصابتهم جميعاً بالاضطراب وهو يقول :

"أتتذكرون تريندات وهاشتاجات الاعتراضات علىٰ إقرار القوانين في السنوات الماضية ؟ لقد بلغت في بعض الفترات ٥ مليون ! أما بالأمس فقط.. فقد تخطت كل التريندات والهاشتاجات حاجز الـ ١٢ مليوناً.. وبعضها وصل إلىٰ ١٥ مليوناً ! أما التي يطالب منها ببث لقاء المختص النفسي بـ (ياسر) وزوجته : فقد وصلت قبل أن أقابلكم الآن إلىٰ ٢٣ مليون ! ٢٣ مليون في حسابات بلدنا فقط ! والسؤال :

إذا ٢٣ مليون شخص في بلدنا يطالبون بهذا المطلب ؟ فكم يتبقىٰ من الشعب بعد استبعاد الأطفال والرضع والعجزة والمعاقين ؟!

نحن في كارثةٍ حقيقيةٍ يا (هالة) ! وغالباً سيتم الموافقة علىٰ هذا البث تحت هذا الضغط الجماهيري الكبير والاهتمام غير المسبوق.. الناس وجدوا أخيراً متنفساً لكل مشاكلهم الحياتية مُجسماً في موضوع (ياسر) وزوجته ! الكل يُسقِط الآن علىٰ هذه القضية كل فشله أو ظلمه.. كل متاعبه في الحياة !

فهل في مثل هذا الموقف المشتعل : يمكننا المغامرة بتعذيب (ياسر) وزوجته بأي طريقةٍ قبل البث : فيفضحنا بها ولو في كلمةٍ واحدة ؟! ماذا لديه ليخسره أو ليخاف عليه ؟ لا شيء.. حتىٰ أسرته وأسرة زوجته قد تبرأوا منهما منذ زمن.. الرجل جن جنونه بالانتقام لابنته كما قال (رأفت) من قبل.. وكذلك زوجته.. ماذا لديها لتخسره إذا كانت رضيت بالقتل أصلاً إن كانت صادقة" ؟!

عادت دكتورة (هالة) بمقعدها إلىٰ الخلف قليلاً وهي تقول :

"صدقني بروفيسور.. هناك من التعذيب ما يتمنىٰ معه المرء الموتَ علىٰ أن تستمر آلامه.. أتعرف.. هناك مثلاً الكـ... "

قاطعها البروفيسور من جديد قائلاً في لهجةٍ أشبه بالانهيار :

"يا (هالة) كل ذلك نعرفه.. والمكتب الأعلىٰ يعرفه قبلنا وأكثر منا.. المشكلة الآن هي : مَن يضمن لنا أنه إذا تم التعرض لهما بشيءٍ من ذلك فإنهما لن يتحدثان في البث المباشر للجلسة ؟! هل تضمنين ذلك ؟ هل نفعل بك ما سنفعله بهما إذا تحدث أحدهما وانهار كل شيءٍ ؟ هل توافقين" ؟!

انكمشت من جديدٍ في مقعدها وهي تتخيل تعرضها لبعض العذاب الذي فكرت فيه منذ لحظات ! وهنا قال دكتور (كريم) :

"المشكلة أيضاً أنهم لو لم يذيعوا لقاء المختص معهما : لاشتعلت نيران الاعتراض أكثر وأكثر ! ولشعر الناس بأن الأمور تمضي علىٰ خداعٍ لهم بالفعل.. أرىٰ أنه ليس أمامنا إلا الاعتماد علىٰ ذلك المختص النفسي.. وأن نغذيه بكل المعلومات عن انتحار ابنتهما لاستفزازهما.. ثم يحاول إبراز ما ينويان فعله :

علىٰ أنه رد فعلٍ انتقاميٍ نفسيٍ لا غير.. وبذلك تخمد جميع الأصوات.. ما رأيكم" ؟

***

أمهات.. لكن أطفال !

بدا دكتور (ياسر) منهمكـاً في الكتابة علىٰ اللابتوب الخاص به في مكتبـه.. الجـو هـاديء.. والصـمت يخـيم علـىٰ الحـي بأكملـه قـرب منتصـف الليـل.. والفـيلا التـي تلقاهـا كـ (هديـة) مـن إدارة (الحقـوق والحريات) جعلته بعيداً تماماً عن إزعاج (جنا) إلىٰ أن تنام مع أمها.

لم ينتبه إلىٰ الوقت الذي قارب الواحدة صباحـاً.. ولا إلـىٰ اقتـراب زوجته من باب المكتب وتعمدها الدق عليه بشكلٍ مسرحيٍ قائلةً :

"نوك نوك.. مَن بالباب" ؟

فرك عينيه ثم رفعهما إليها لكن دون ابتسامته المعتادة..

"ما الذي يؤخرك إلىٰ هذه الساعة ؟ هل هو عملٌ مهم" ؟

سألته في فضول.. فقام بمطّ ظهره إلىٰ الخلف بقوة.. كـان يبـدو منهكـاً من جلسته لساعات.. ثم وجد أخيراً سبباً للتوقف.. فقال :

"أكثر هذه البنود يحتاج لإعادة نظرٍ قبل تقديمه لمحاولة التصويت عليه مـن جديـدٍ مثـل كـل عـام.. الحقيقـة : لقـد فـتح البروفيسـور بـاب الحقوق والحريات علىٰ مصراعيه وكأن الغرض هو (التجميع) ! أكبر (تجميعٍ) ممكنٍ لأي حرياتٍ.. بغض النظـر هـل هـي مناسـبةٌ أصـلاً أم لا.. ضارةٌ أم لا ؟ وأنا هنا أتحدث عن تشريعات الأطفال خصوصاً".

كانت دكتورة (نيفين) مُسنِدةً جانبها إلـىٰ البـاب ظنـاً منهـا أنهـا فـي مهمـةٍ سـريعةٍ لجلـب زوجهـا مـن مكتبـه.. لكـن هيئتـه ولهجـة كلامـه

يوحيان بأن الموضوع جادٌ وهامٌ بالفعل.. فدخلت إلىٰ المكتب وجلست في المقعد المقابل له قائلةً :

"لكن ملف الأطفال هذا أتذكر أنك كنت من الذين وافقوا علىٰ بنوده من قبل مع البروفيسور كما أخبرتني" !

تنهد دكتور (ياسر) بعمقٍ ثم قال :

"كان لي صديقٌ قديماً اسمه (مجدي).. شابٌ محترمٌ وعلىٰ أخلاق.. لكنه لم يكن في نفس مرونتي مع توجهاتي أيام الجامعة.. أخبرني ذات مرةٍ أن لوالده رأيٌ.. كثيراً ما كان يردده.. وهو أنه : كلما تقدم العمر بالإنسان : ستتغير الكثير من قناعاته نتيجة زيادة خبرته في الحياة.. خصوصاً : إذا كانت تلك القناعات هي آراء واجتهادات خاصة.. وهذا ما صرتُ أشعر أنه يتحقق معي الآن بالضبط ! كنت ساعتها أرد عليه بأن رأيي الذي سأصلُ إليه بقناعةٍ تامةٍ : هو بالتأكيد نهائي لأنه بعد دراسةٍ وبحث.. لم أكن أستوعب كلام والده.. لكن يبدو أن هناك عنصراً هاماً أغفلته في تقديري.... التجربة المُعاشة" !

"ماذا تعني بالتجربة المُعاشة" ؟!

قالتها زوجته وهي تضع قدميها علىٰ الطاولة الصغيرة أمام مكتبه.

"التجربة المُعاشة تعني... تعني أن أعيش بنفسي عملياً : ما كنت أتحدث عنه نظرياً من قبل دون أن أجربه بنفسي.

يعني مثلاً أنا اليوم أب.. وصارت لي ابنةٌ أحبها أشد ما يكون حب الوالد لابنته.. هذه المشاعر لم أكن أعرف عنها شيئاً من قبل.. تماماً

مثلما عرفتُ عنكِ أنتِ أشياءً كأنثىٰ : لم أكن لأعرفها لولا أن جاءتني (جنا).. رأيت فيها طفولة الأنثىٰ ونشأتها.. وإلىٰ أي مدىٰ تبلغ رقتها وعاطفتها بالفطرة.. هذا شيءٌ يُلاحظ بالعين مقارنةً بالأولاد".

قالها دكتور (ياسر) وهو يشعر بحنينٍ جارفٍ إلىٰ حضن ابنته النائمة.. لكم شعر أنها صارت قطعةً منه لا يمكن الاستغناء عنها.. في حين أنزلت دكتورة (نيفين) قدميها من علىٰ الطاولة قائلة :

"(جنا) مرةً أخرىٰ ؟! هذه البنت قلبت حياتك رأسًا علىٰ عقب.. الآن ستقتحم حياتك الفكرية أيضًا" ؟!

انتبهت دكتورة (نيفين) إلىٰ أنها أظهرت من الانفعال قدراً قد يراه زوجها مُبالَغًا فيه.. أو يُرجِعهُ إلىٰ غيرتها من (جنا) مرةً ثانية.. فقالت في لهجةٍ حاولت إخراجها بنبرة المزاح :

"ليس علىٰ هذا تزوجتك حبيبي.. ستكون خدعتني إذا بدأت في التحول إلىٰ مَن كُنا نسخر منهم ومن تفكيرهم المنغلق من قبل" !

عاد زوجها بظهره إلىٰ الخلف في هدوء.. وكأنه كان يتوقع هذا الكلام بالضبط منها ! فقال في تفهم :

"لا يا حبيبتي.. لا بالطبع لم ولن أتغير.. لكني فقط أحاول أن أكون عادلاً في قراراتي.. فيما أسعىٰ إليه.. هل تتخيلين أن زوجك صار بيده فجأة التأثير في تشريعاتٍ مثل هذه ؟ تشريعات ستمس حياة الملايين من البشر في بلدنا صغاراً وكباراً ؟ هذا شيءٌ يدفع أي إنسانٍ محترم ليُراجع قراراته مرةً واثنتين وألف.. هذا أفضل من أن أظلِم

أحداً بها.. ولاحظي معي الفرق : تشريعاتنا للكبار - ومهما بدىٰ فيها ظلمٌ للبعض وإنصافٌ لحقوق وحريات الآخرين - ففي النهاية نحن نتحدث عن تشريعاتٍ لـ (الكبار).. تشريعات لأشخاصٍ بيدهم الاختيار بين الفعل وعدم الفعل.. لكن الأمر مع الأطفال يختلفُ تماماً.. انظري مثلاً هذا التشريع : المادة ١٢ – يحق لإدارة الحقوق والحريات الفصل بين الطفل المُعنَّف وبين والديه أو أحدهما (الكافل له وقت التعنيف).. مع توفير الإيواء والرعاية اللازمين له.. وذلك عبر نظام (طفلي) الذي ستنشئه وزارة الطفل.. علىٰ ألا يتم إنهاء الفصل بينه وبين الوالدين أو أحدهما إلا بعد موافقة المدير المسؤول في نظام (طفلي) بمنطقته التابع إليها.. ولا اعتبار في ذلك لرغبة الطفل نفسه.. فغالباً يكون المُحرك لها العاطفة لا المصلحة".

قرأ دكتور (ياسر) الفقرة السابقة من ورقةٍ أمامه.. ثم أزاحها جانباً ليفرّ مجموعةً من الورقات الأخرىٰ.. ويقف عند مجموعة أسطرٍ من إحداها - قام برسم مستطيلٍ أحمرٍ حولها - قائلاً :

"والآن إلىٰ الصدمة.. هل تعرفين ما حدود هذا (التعنيف) المُشار إليه ؟! أنا لا أدري : كيف وافقتُ علىٰ هذا من قبل ؟ كيف مرّ عليّ ؟ لكن عزائي أني لم أكن أباً بعد ! هذا ذنبٌ يتحمله الآباء الذين وافقوا علىٰ هذا التشريع في الإدارة.. انظري هنا".

مدّ يده إليها بالورقة.. لكنها ردتها بلطفٍ قائلةً :

"(ياسر).. الساعة الواحدة صباحاً ! وأنا لدي محاضراتٍ غداً في

الجامعة.. هل تظن لدي القدرة علىٰ قراءة شيءٍ الآن" ؟!

أعاد زوجها الورقة إلىٰ مكانها بين بقية الأوراق قائلاً :

"أعتذر حبيبتي.. أردت منكِ أن تشاهدي بنفسك.. سأخبرك أنا مما قرأته هنا.. يقولون أنه تبدأ حدود (التعنيف) بالصراخ في الوجه.. والمُعبِّر عن الغضب.. والمُفضي إلىٰ خوف الطفل ! انظري إلىٰ أي مدىٰ فضفاضٌ هذا التعريف ؟! يعني لو افترضنا أن الطفل يوشك أن يقع في مصيبةٍ دون أن يدري.. فهل سأنادي عليه بلطفٍ ثم أجلس لأشرح له وقد يقتنع أو لا يقتنع ؟! بل وقد يكون قد وقعت المصيبة بالفعل ! أم سيكون الصراخ بالقدر الكافي لإيقافه قبل الوقوع في ذلك الخطر ؟! هذا مثالٌ بسيطٌ فقط.. ماذا لو كان الخطر أكبر من استيعاب الطفل ؟! بل ماذا لو لم يقتنع أصلاً ؟! أليس من واجبي حمايته ؟ أم أتركه مثلاً لرفاق السوء أو مدمني المخدرات ؟ أو أتركه حتىٰ لمَن يتلاعب بعقله من الكبار ليعتدي عليه جنسياً" ؟!

بدأ النشاط يتسلل إلىٰ دكتورة (نيفين) بأعجوبةٍ مع إثارة زوجها للنقطة الأخيرة.. فقالت بلهجةٍ أظهرتها بشكل الخبيرة الفاهمة :

"لحظةً حبيبي.. في (البيدوفيليا) هناك فرقٌ بين الاعتداء الجنسي من الكبار علىٰ الأطفال قبل سن البلوغ.. وبين مجرد الميل الجنسي لهم دون اعتداء.. بل وبعد البلوغ لن يُسمىٰ ذلك اعتداءً أصلاً إذا كان بالتراضي.. أعتقد أنكم ذكرتم تلك الحالات بالتفصيل في تشريعاتٍ أخرىٰ كنت حدثتني عنها سابقاً".

نظر إليها بتعجبٍ لتركها أصل النقاش في مسألة (تعنيف) الأطفال وخوضها في هذه النقطة الآن.. إلا أنه قال :

"حتىٰ هذه النقطة حبيبتي.. اكتشفتُ أنه قد يكون لها تداعياتٌ كارثيةٌ علىٰ الأطفال خاصةً البنات.. ماذا بخصوص البنات اللاتي يبلغنَ مبكراً في سن السابعة أو الثامنة أو التاسعة ؟ نعم.. أنا معك في أن ذلك كنا نستنكره علىٰ بعض المتزمتين من أتباع التراث.. لكني أعرف - وأنت طبيبة وتعرفين - : أن هناك من البنات مَن يحِضنَ ويبلُغن مبكراً.. ماذا عنهن ؟! ماذا لو كنّ فقيرات أو في عائلاتٍ تجبرهن الحاجة علىٰ بيعهن لمتعة الآخرين جنسياً ؟! هل تتخيلين مدىٰ المأساة التي سيغطي عورتها القانون إذا تم إقرارُ مثل هذا التشريع ؟! هل تتخيلين (جنا) في موقفٍ كهذا في أي ظرفٍ من الظروف" ؟!

لم تدرِ بماذا ترد دكتورة (نيفين).. وقبل أن تفكر في شيءٍ للرد استطرد زوجها ساخراً :

"هذه مصيبةُ تجميع كل هذه التشريعات بدعوىٰ فتح باب الحقوق والحريات حتىٰ للطفل.. التشريع الواحد منها قد يكون كارثة في حد ذاته.. فكيف بها إذا اجتمعت معاً ؟! مَن يضمن لنا نزاهة نظام (طفلي) هذا الذي سيفصل بين الأبناء المُعنَّفين وآبائهم ويؤويهم ؟ مَن يضمن لنا أنه مع الوقت لن يطمعوا في طلب المزيد من الدعم الحكومي من وزارة الطفل ؟ وهو ما لن يجدوا طريقةً لتبريره أفضل

من التوسع في عدد قضايا تعنيف الأطفال ! أو التوسع والتهاون في حدود تعريف (التعنيف) حتىٰ لربما وصلوا في يومٍ من الأيام لمجرد النظرة الغاضبة إلىٰ الأبناء ؟! علىٰ العموم.. دعكِ من هذا.. أنتِ أثرتِ نقطة حرية المُمارسة الجنسية للأطفال مع بالغين : إذا وقعت بالتراضي.. والآن.. أريدك أن تقارنيها في ضوء هذا التشريع الكارثي".

قالها دكتور (ياسر) بتأثرٍ حقيقيٍ وهو يُخرجُ ورقةً أخرىٰ من بين الأوراق التي أمامه ويدفعها إلىٰ زوجته.. ثم ما لبث أن تذكر ردة فعلها علىٰ الورقة السابقة.. فأعاد الورقة إلىٰ مكانها قائلاً :

"هذا مشروعُ إقرار التعليم الجنسي في مدارس الأطفال ! لو اطلعتِ علىٰ التفاصيل لانصدمتِ ! أعترفُ بأن هذا القانون لم أقرأ مشروعه المُقترح كاملاً.. قرأت بعضاً من الديباجة في مقدمته وقتها وأتذكر أنها أعجبتني : (حماية الأطفال من مقدمات الاعتداء الجنسي عندما يعرفونها).. (حماية الأطفال من أخطار الجنس).. هذا ما أتذكره.. ولم أنتبه إلا الآن إلىٰ أنهم كانوا يقصدون : أخطار الجنس (غير الآمن) ! يعني لا مشكلة لديهم في تعليمهم كل التفاصيل الجنسية في هذا السن الصغير وتدمير براءتهم ! لكن المهم : أن يصاحب ذلك تعليمهم أصول وأدوات الجنس (الآمن) من استخدام الواقي أو حبوب منع الحمل ! هل تتخيلين هذا" ؟!

قالها دكتور (ياسر) وهو يتراجع من الصدمة في مقعده.. ورغم أن

زوجته كان لديها ما تريد قوله.. إلا أنها أيقنت أنه لا مجال للحديث مع زوجها الآن بأي رأيٍ مُخالف.. فقالت في هدوءٍ وهي تظهر له استعدادها للقيام :

"هوِّن عليك حبيبي.. هوِّن عليك.. بالتأكيد الأمور لن تجري بهذه السوداوية التي تتخيلها.. أين أولياء الأمور والمدرسة والرقابة المجتمعية ؟ وإذا لديك ملاحظات فيمكنك إضافتها علىٰ المسودة وتقديمها إلىٰ البروفيسور.. أنت لديك مكانة مُقربة منه الآن".

ترك زوجها كل الأوراق ووضع يديه علىٰ المكتب أمامه.. في حركةٍ توحي أيضاً باقتراب قيامه أخيراً إلىٰ النوم قائلاً :

"الحقيقة.. بدأت أشك في دوافع البروفيسور نفسه ! ماذا لو كان مصاباً بـ (البيدوفيليا) ؟! ماذا لو كل مَن معي يسعون في مصالحهم الشخصية وأغراضهم النفسية ؟! يمكنني تصور (كريم) و (مازن) في سعيهما بقوةٍ للشذوذ ! يمكنني تخيل (هالة) في حريتها الجنسية رداً علىٰ مَن وصفها بالقبح ! تخيل (رأفت) في خيانته لزوجته !

حتىٰ أنا ! ماذا لو كان خلف قناعاتي مشكلتي القديمة مع قسوة بعض أتباع التراث في نصيحتي وتقويمي ؟! لماذا لا يتم اختبارنا نفسياً قبل وضع المسؤولية في أيدينا ؟ لماذا يتحمل ملايين البشر مشاكلنا النفسية وإسقاطاتها علىٰ المجتمع ؟!

استحضرتُ للحظةٍ بعض الحقائق عن مشاهير الفكر والفلسفة الذين أثَّروا في الملايين حول العالم.. استحضرتُ تلك الحقائق التي

لا يعرفها أكثر مَن يسمعون عنهم أو يقرأون بعض أعمالهم.. استحضرتُ الشذوذ الجنسي لـ (ميشيل فوكو) وفساده الأخلاقي ! وكذلك شراهة (برتراند راسل) للجنس ومواقعة الفتيات الصغيرات ! أيضاً احتيال وكذب (جان جاك روسو) وأبناءه الخمسة غير الشرعيين الذين ألقاهم في الملاجئ ! استحضرتُ خيانات (كارل ماركس) الزوجية الكثيرة وإدمانه للدعارة والنساء ! اليوم صرتُ أكثر تقبلاً لفكرة عدم وجود مَن تنفصل آراؤه عن حقيقة أخلاقه وميوله الشخصية.. وهذه في حد ذاتها كارثة لمَن يتبعوهم دون أن يعرفوا حياتهم ولا ظروفهم ولا حتىٰ طفولتهم كيف كانت وماذا أفرزت !

الحقيقة حبيبتي.. أشعر الآن أني صرت أكثر عرضةً للتغيير ! أرىٰ سحب كلامي معكِ منذ قليل ! صدقيني.. الكثير من الأمور خاصةً في تشريعات الأطفال تحتاج إلىٰ إعادة نظر.. لقد جمعتُ ملاحظاتي بالفعل منذ ساعاتٍ لأقدمها لهم.. وسأدافع عنها إلىٰ النهاية.. أو يُقدمون لي ضماناتهم لحماية الأطفال من المساويء التي قد تقع".

قام في هدوءٍ وتعبٍ من خلف مكتبه.. لتقوم زوجته بدورها وتنتظره لتتأبط ذراعه.. عندها توقف فجأةً قائلاً دون التفات :

"هل تتخيلين (جنا) وقد صارت أماً لديها عشر سنوات ؟! هذا جنون.. قد أتقبل ذلك في الماضي.. بل وفي أوروبا وأمريكا إلىٰ ١٠٠ سنة فقط : كانوا يُربون البنت علىٰ فهم البلوغ والزواج منذ صغرها.. حتىٰ والداها : لم يكونا ليفرطان في عِرضها بغير زواج.. لا

أن يثيـروا غرائزهـا وفضـولها كطفلـةٍ ثـم يتركونهـا فريسـةً لأي ذكـرٍ يتلاعبُ ببنات الناس ! هذه كانت طفلة الماضـي.. أمـا اليـوم ؟! اليـوم يعيش الشاب والفتاة بعقلية الطفولة إلىٰ ما بعد العشرين !

هذا مستحيل.. حبيبتي.. مستحيل...... أتعديني" ؟

رفعت ذقنه برفقٍ لينظر إلىٰ وجهها وهي تقول له في حنانٍ وشفقة :

"أعدك بماذا حبيبي ؟ لماذا أنت خائفٌ هكذا ؟ أنا معك".

"تعديني بأن تبقىٰ (جنـا) فـي عينيـك واهتمامـك دومـًا ؟ أكثـر مـن عملك ؟ بل أكثر مني ؟ أخاف كثيراً من انشـغالي عنهـا بكثـرة غيـابي.. وأخشىٰ ما أخشاه أن تنشغلي عنها أنتِ أيضـًا.. تعديني" ؟

نظرت إليه بتعجبٍ شديدٍ.. ثم قالت تطمينـًا له :

"أعدك"..

***

دكتور (فضل)

داخل ممرات السجن المركزي اصطف العساكر علىٰ الجانبين.. كان يومـًا مشهوداً ينتظره الجميع في توتر.. ومن بين الأروقة ظهر دكتور (فضل).. المختص النفسي الذي وقع الاختيار عليه لمقابلة دكتور (ياسر) وزوجته.

مشىٰ الدكتور ومعه بعض الضباط حتىٰ وصل إلىٰ الممر المؤدي إلىٰ رئيس السجن.. في العادة يمكنك رؤية باب مكتبه مغلقـًا من بعيد.. ثم يطرق عسكري الحراسة الخاصة به الباب.. ثم يؤذن لك بالدخول أو الانتظار أو الرجوع.. لكن في ذلك اليوم كان الباب مفتوحـًا.. ورئيس السجن يقف أمام مكتبه في انتظار الدكتور.

"أهلاً سيادة العقيد".

قالها دكتور (فضل) وهو يشعر ببعض الإحراج من هذا الاستقبال الذي يقبع خلفه آمالٌ عظام !

"أهلاً دكتور.. تفضل.. نحن في انتظارك".

دخل دكتور (فضل) ليرىٰ المزيد من الرجال ذوي السترات السوداء والنظارات السوداء.. ذلك النوع من الرجال الذي تخشىٰ من السؤال عن مَن يكونوا.. عليك أن تستمع وترد علىٰ أسئلتهم فقط !

"معنا بعض المسؤولين يودون السماع منك مرةً أخيرة عن خطتك في اللقاء.. لقد تم التأكد من سلامة كاميرات التصوير والبث الذي

سيبدأ بعد قليل".

قالها رئيس السجن وهو يجلس علىٰ مقعد من مقاعد مكتبه تاركـًا المقعد الرئيسي خاليـًا.. مما ألقىٰ المزيد من المهابة في قلب دكتور (فضل) تجاه الحاضرين.. فقال في لهجةٍ بدت متماسكة :

"أهلاً بهم.. لا إشكال طبعـًا.. الحقيقة أن الأمر صعبٌ كما ذكرت للسادة الآخرين منذ يومين.. وأنه إلىٰ الآن وإلىٰ اللحظة.. لا زلت أقارن في رأسي بين أفضل الطرق للوصول إلىٰ الهدف المنشود.. فالدكتور (ياسر) وكما وصلني من المعلومات عنه - وبجانب ذكائه الفطري - فقد تلقىٰ هو والعديد من زملائه دورات في علم النفس منذ سنواتٍ قليلة.. ورغم أن التركيز فيها كان عن كيفية التأثير علىٰ الجماهير وتوجيه آرائهم بطرق غير مباشرة.. إلا أني لمّا طالعت تفاصيل تلك الدورات في عجالة : وجدت أنه كان علىٰ هامشها بعض الدورات بخصوص (الاختبارات النفسية) مثل (اختبارات الإسقاط) وغيرها.. وهي تلك الاختباراتالتي نعرض عليهم فيها صوراً ونطلب معرفة ماذا يفكرون فيه عند رؤية كلٍ منها.. أو نذكر لهم عباراتٍ معينة ليكملوها من عندهم.. فهذا كله سيفشل لمجرد أنه يعلمه مسبقـًا.. فإذا أضفنا إليه رغبته في إحراجنا والتملص من إلزاماتنا التي بالتأكيد يعرفها ويعرف ما نريد جرّه إليه فيها : فالأمر صعب" !

لم يبد أي تغيير في ملامح الجالسين.. إلا أن أحدهم قال :

"وماذا عن زوجته ؟ هل أخذت دوراتٍ مثله" ؟

لم يعرف دكتور (فضل) إذا كان هذا السؤال استنكاري أم حقيقي.. لكنه واصل بنفس الملامح المتماسكة بهدوء :

"هذا السؤال يؤدي بنا إلىٰ ما سأستخدمه غالبًا بعد قليلٍ في الاختبار.. وهو طريقة الاستفزاز النفسي.. لكن بشكل احترافي غير مباشر.. فغالب ظني ومما سمعته من انطباعات وآراء الضباط هنا : أن الهدوء المُلازم للدكتور وزوجته يوحيان بأنهما علىٰ استعدادٍ مُسبق لكل الذي يتعرضان له الآن.. بمعنىٰ أنه من الراجح بدرجةٍ كبيرةٍ أن دكتور (ياسر) كان يتوقع تمامًا الأحداث التي قد يتعرضان لها بسبب هذه الزوبعة التي آثاراها.. وهذا يجعلني أتجنب نفس الاختبارات المتوقعة لاحتمالية أنه قد أخبر بها زوجته.. وهذا – وكما أخبرتكم منذ قبل – مما يزيد المهمة صعوبة".

أخرج أحد الجالسين سيجاراً فخمًا وأشعله في هدوءٍ قائلاً :

"هل تعلم ما يمكن أن يحدث لك دكتور إذا فشلت في مهمتك" ؟

أطرق دكتور (فضل) برأسه إلىٰ الأرض للحظة.. قبل أن يرفعها متخذاً قراراً بالرد دون خوف :

"أعتذر سيدي.. لكن هل تعلم أن ذكرك لهذا التهديد لي الآن يمثل دافعًا للفشل وسببًا لاهتزاز الآداء نتيجة التوتر والخوف" ؟

أطفأ الرجل السيجار الذي لم يلتقط منه إلا نفسين فقط قائلاً وهو يهم بالوقوف مع الآخرين للخروج : "الخوف يؤدي إلىٰ النجاح" !

* * *

نسوية.. وأشياءٌ أخرى !

مرةٌ ثانيةٌ ساد الظلام لكن هذه المرة علىٰ ساحة استوديو قناة (٢٤ ساعة).. ثم من بعيد بدأت المخرجة في العد التنازلي : أربعة.. ثلاثة.. اثنان.. واحد.. ابدأ.....

"أهلاً بكن عزيزاتي المشاهدات.. أهلاً بكم أعزائي المشاهدين.. أهلاً بكم في برنامجكم (كلام في سِرِّك).. ورغم إن البرنامج كله (نسائي).. إلا إننا كالعادة نرحب بإخواننا الرجال" !

وهنا انطلقت صيحاتُ ترحيبٍ - أغلبها نسائية - من الحاضرين في الاستوديو من الجمهور.. لتواصل المذيعة (رجاء علي) قائلةً :

"الليلة ينفرد البرنامج بلقاءٍ خاص.. لقاءُ الساعة.. لقاءٌ لأول مرة يستضيف علىٰ الهواء مباشرةً....... الدكتورة (نيفين).. وزوجها الدكتور (ياسر)".. قالتها بلهجةٍ مسرحيةٍ أشعلت الصيحات والهتافات من جديد.. فقاطعت كل ذلك لتقول في حماس :

"ولكن بعد الفاصل"...

مال دكتور (ياسر) علىٰ زوجته قائلاً بابتسامةٍ لم يستطع إخفائها :

"لمْ تعطنا حتىٰ فرصةً لرد السلام عليها أو الترحيب" !

فمالت عليه زوجته دكتورة (نيفين) بدورها قائلةً :

"لا مجال لتضييع الوقت عندهم.. كل ثانيةٍ تمر في الإعلانات الآن هي بمئات الآلاف.. فهل تتصور أن يضيعونها" ؟!

قال دكتور (ياسر) وهو يدور بعينيه في الجمهور الحاضر :

"أشعر بأني سقطت في جزيرة (الأمازونيات) ! تقريباً عدد الرجال في الاستوديو يُعد علىٰ الأصابع".

وهنا توجه دكتور (ياسر) إلىٰ المذيعة قائلاً :

"هل ستطول فترة الإعلانات" ؟

أجابته المذيعة بتأنق واهتمامٍ مُصطنع :

"لا تخف دكتور.. هي خمس دقائق فقط ونعود".

"خمس دقائق ! وهل الإعلانات داخل الحلقة ستكون كذلك" ؟

"نعم دكتور.. هذا نظام القناة في الحلقات الاستثنائية مثل حلقتنا اليوم.. هل تعلم كم بلغ عدد المتابعين لنا الآن في وسائل التواصل فقط واليوتيوب.. غير قناتنا الفضائية" ؟

وهنا تدخلت زوجته دكتورة (نيفين) قائلة في عدم اكتراث :

"لا شكراً يا (رجاء) .. سننتظر معك.. لكن أتمنىٰ ألا ينسىٰ المشاهدون تسلسل الكلام مع كثرة الإعلانات" !

مالت دكتورة (نيفين) من جديد علىٰ زوجها وهي تضع يدها علىٰ فمها قائلة في لهجةٍ أقرب للسخرية :

"لقد صدَقت كل توقعاتك بشكلٍ عجيب ! أنا لا أكاد أصدق كل ما مرّ بنا إلىٰ الآن.. أرجو أن ينتهي أمرنا كما نتمنىٰ".

"أهلاً بكم من جديد.. معكم (رجاء علي) من برنامج (كلام في سِرِّك) والمفاجأة التي أخبرناكم عنها : أول لقاء حصري مع دكتورة

(نيفين) ودكتور (ياسر) بعد الإفراج عنهما بالأمس ! أهلاً بكما".

قالتها المذيعة في حماسٍ شديدٍ وكأنها تلقنه لجمهورها والمشاهدين تلقيناً.. وتركت عدة ثوانٍ للزوجين للرد علىٰ ترحيبها بهما ثم قالت :

"الحقيقة منذ إعلاننا صباح اليوم عن هذا اللقاء.. وقد استقبلت حساباتنا علىٰ مواقع التواصل ما لا يقل عن ٢٠٠ ألف رسالة يرغب أصحابها في توجيهها إلىٰ الزوجين.. لم نقرأها كلها بالطبع.. لكن قام فريق البرنامج بحصر محتوىٰ الرسائل التي طالعناها لاستبعاد الأسئلة المتشابهة والمكررة علىٰ قدر المستطاع.. ثم انتقينا منها أبرزها.. خاصةً التي تناسب برنامجنا النسوي هنا في القناة.. فنسويتنا : سر تميزنا - قالتها وهي تخرج عدة بطاقات -.

هل أنتم مستعدون لبدء الأسئلة" ؟

تعالت الصيحات مرةً أخرىٰ.. واستعد دكتور (ياسر) وزوجته لخوض المرحلة الجديدة.. في حين نظرت المذيعة في أول بطاقة :

"السؤال الأول نوجهه إلىٰ الدكتورة (نيفين).. كلنا شاهدنا في البث المباشر للقاء دكتور (فضل) معكما : تطابقاً يكاد يكون كاملاً في الأجوبة وردود الفعل.. وكأنكما كنتما علىٰ استعدادٍ مُسبق أو تحضيرٍ للقاءٍ كهذا من قبل.. رغم أن الدكتور أجرىٰ لقائه مع كل منكم بصورةٍ منفصلة.. كما أنكما مفصولان عن بعضكما البعض قرابة الأسبوع.. فهل هذا صحيح ؟ وجود استعدادٍ مُسبقٍ من جهتكما" ؟

اعتدلت دكتورة (نيفين) في جلستها ثم قالت في اتزان :

"الحقيقة... لم يكن في ذهننا هذا التطابق.. لكننا لم نتفاجأ فيما بعد عندما شاهدنا اللقاءين.. التطابق في رأيي جاء لأننا نقول الحقيقة.. يعني نحكي نفس التفاصيل.. فمن المنطقي أن تأتي إجاباتنا متشابهة علىٰ نفس الأسئلة.. مثل الذين يشاهدون أو يحضرون حدثًا ما.. فإذا سألتِ أيٍ منهم بعد ذلك عن شيءٍ فيه : لأتت الإجابات كلها متشابهة أو متطابقة".

أشارت المخرجة إلىٰ الجمهور الذي أغلبه من الشابات والنساء.. وعلىٰ الفور انطلق التصفيق وانطلقت الصيحات !

لم يفهم دكتور (ياسر) سبب الحفاوة الكبيرة بإجابة زوجته.. لكنه أدرك أنه سيرىٰ نفس رد الفعل بعد كل إجابةٍ علىٰ الأرجح ! وهنا التفتت المذيعة إلىٰ البطاقة الثانية قائلةً :

"السؤال الثاني.. سنستأذن دكتور (ياسر) في أن نوجهه إلىٰ الدكتورة (نيفين) أيضًا"..

"يبدو أني في موقفٍ لا أستطيع فيه الاعتراض".. قالها دكتور (ياسر) مازحًا لكن بغير تبذل.. فواصلت المذيعة :

"في لقاء دكتور (فضل) أيضًا – واعذرينا لأن معظم الأسئلة تأثرت بهذا اللقاء – عندما تحدث معكِ عن موت ابنتك.. كانت إجاباتك واضحة وحاسمة في الفصل بين ما وقع لابنتك الفترة الأخيرة من أحداثٍ انتهت بانتحارها.. وأنك تتألمين لذلك كأي أم..

وبين حريتك الشخصية في قرارك بالقتل من زوجك ! والأسئلة التي تلقيناها هنا تطلب منكِ الحديث في هذه النقطة بوضوحٍ أكثر.. خاصةً في سر الترابط بين موت ابنتك وبين موضوع القتل من زوجك ؟ ما العلاقة والتلازم الزمني بينهما ؟ هل وقعتِ في حالة من (إيذاء النفس) كما قال دكتور (فضل) ؟ وأعتذر إن كان السؤال مؤلماً.. وذلك لأنهم شعروا أن اللقاء لم يأخذ حقه في تلك النقطة رغم توضيحك لها.. حيث يمكننا الآن الاستماع إليك مرةً أخرىٰ.. لكن بعد الفاصل"....

❋❋❋

"الحقيقة لا يسعني إلا تكرار ما قلته للدكتور (فضل) في لقائه معي.. ولعلي أزيد كلامي بعض التوضيح.. فكما أخبرته : تعرضت ابنتنا (جنا) لموقفٍ حرجٍ بعدما تم فصلها عنا نتيجة موقفنا من حملها في سنها الصغير.. حيث دار نقاشٌ معها فسرته هي علىٰ أنه (تعنيف) من جهتنا.. وتسرعت بالاتصال بنظام (طفلي)".

سكتت دكتورة (نيفين) للحظاتٍ وأخذت نفساً عميقاً لكن بشكلٍ مكتوم.. لم تشأ أن ينفرط تماسكها في إحدىٰ اللحظات وسط الكلام.. أو أمام الجمهور.. فواصلت في هدوء :

"بعدما تم فصلها عنا.. تعرضت (جنا) لصدمةٍ عاطفيةٍ قوية".

سكتت دكتورة (نيفين) من جديد وهي تصارع البكاء الذي قارب علىٰ الانفجار.. هذه المرة أخذت شهيقاً مسموعاً.. وبدا للجميع

معاناتها التي ظهرت في هذا الجمع الآن بعكس لقائها مع دكتور (فضل).. وعلىٰ بعد نصف المتر منها كاد يقفز قلب دكتور (ياسر) بدوره من صدره تعاطفًا معها.. كان يعلم أن المهمة التي يقومان بها أكبر من قدرة الشخص العادي علىٰ الاحتمال.. لكنهما كانا يريان في ذلك جانبًا من التكفير تجاه ابنتهما.

مضت ثوانٍ معدودات حتىٰ استطاعت الدكتورة أخذ كمية كافية من الهواء لتستكمل حديثها دون بكاء :

"تعرضت (جنا) إلىٰ صدمةٍ عاطفيةٍ قوية.. أرادت الرجوع إلينا أو التواصل معنا علىٰ حد شهادات العاملين في دار إيواء الأطفال العاجلة.. لكن وعدوها بالموافقة بعد إجراءات جلسات التقييم معنا.. وهو ما يستغرق للأسف من أسبوع إلىٰ أسبوعين لكثرة الحالات المشابهة في منطقتنا.. لا أعرف ما حدث بالضبط لها.. وجدوها منتحرة في دورة المياه".

سكتت دكتورة (نيفين) من جديد.. في حين أدار دكتور (ياسر) عينيه في الاستوديو ليشاهد التناقض الصارخ بين الشابات والنساء الحاضرات.. ما بين باكيةٍ ومَن سالت دموعها.. وما بين متماسكةٍ لتظهر بمظهر النسوية (القوية) التي فارقت العواطف بل والتعاطف منذ زمن ! لكن اتفق الجميع علىٰ عدم إظهار البكاء بصوتٍ مسموع.. يبدو أنه كان بنداً من بنود عقد الظهور في البرنامج !

"آسفة.. لا أدعي أني امرأةً قوية.. ولا أدعي أني غير متأثرة.. لكني

تعلمت التفكير بواقعية.. الماضي فات بمرِّه وآلامه.. ولن يُعيد البكاءُ الأمواتَ.. لذلك أحاول التغلب علىٰ العاطفة بالعقل.. فاعذروني".

وهنا قالت المذيعة بلهجةٍ جافةٍ حاولت إلباسها لباس الحياد العاطفي هي الأخرىٰ :

"لا داعي للاعتذار دكتورة.. العواطف البشرية شيء طبيعي في كل الناس.. رجالاً ونساءً.. بالعكس.. نحن نحييك علىٰ تماسكك في موقفٍ عصيبٍ كهذا.. وعلىٰ قدرتك علىٰ الحديث بثباتٍ في هذا الموضوع الحساس.. إذن : أنتِ لا تنكرين حزنك علىٰ انتحار ابنتك.. لكن... ما قصة رغبتكِ في قتل زوجكِ لك ؟ يعني سامحيني.. لكن هذه النقطة جوهرية جداً في الموضوع.. وهو ما حاول دكتور (فضل) أن يبرزه في كلامه معك.. وأن قرارك الغريب هذا : إما بدافع التكفير عن ذنب (أو ذنبك أنتِ علىٰ الخصوص كونكِ الأم المفترض أنكِ كنتِ الأكثر لصوقًا ومراقبةً لابنتك).. وإما انتقامًا من القوانين والتشريعات الخاصة بالطفل والتي نادىٰ زوجك من قبل بتعديلها أو إلغائها.. رغم كونه عضواً فاعلاً في إدارة (الحقوق والحريات).. حيث ندرك جميعًا أنه سواءٌ قمتما بذلك الفعل أنتِ وزوجك أو تراجعتما عنه في النهاية : فالنتيجة واحدة.. وهي البلبلة الضخمة التي وقعت منذ إعلانكما عن هذا القرار الغريب.. بل والصادم.. فما ردك" ؟

شعرت دكتورة (نيفين) وأنها اجتازت الجزء الأصعب من اللقاء..

فأخـذت نفسـًا عميقـًا مـلأ صـدرها بعـد أن تخطـت ذكريـات ابنتهـا الأليمة.. لتقول في رباطة جأشٍ وثبات :

"الحقيقة هي كما قلتها للدكتور (فضل).. أنه بعد الذي حدث لابنتنا.. راجعتُ زوجي في موضوع الحقوق والحريات هذا.. وكيف أنه إما أننا علىٰ خطأٍ فعلاً.. وأن الحقوق والحريات هي شيء مقدس أعظم من أننا نجرحه بحادثٍ فردي مثل انتحار ابنتنا.. إذ كما تعلمون فشل التطبيق لا يعني فشل القانون.. فقواعد المرور تبقىٰ صحيحة حتىٰ وإن أساء البعضُ تطبيقها.. وإما أننا علىٰ صواب.. وأن الحقوق والحريات ليست بتلك القداسة التي وقفت بيننا وبين ابنتنا مرتين.. مرة في تعليمها الجنس باكراً في المدرسة مما مهد إلىٰ حملها من زميلها علىٰ غير رغبتها ورغبتنا.. ومرة في قانون الفصل للتعنيف.. والذي يحرم أي أبٍ وأمٍ من تقويم أبنائهما بالأنسب والأحرص علىٰ مصلحتهم.. حتىٰ لو كان في النقاش والتوجيه بعض الحدة.. شأنه شأن أي نقاشٍ حتىٰ بين الكبار.. بل ويحرمهم من مجرد التواصل معهم فترة الفصل.. وهو ما كان له الأثر النفسي السلبي علىٰ حالة (جنا) التي أدت بها إلىٰ الانتحار.... ومن هنا :

قررت أنا و(ياسر) اختبار النظام برفع سقف الحقوق والحريات إلىٰ أعلىٰ ما يمكن الوصول إليه كبشر.. وهو سلب الحياة بالتراضي عن طريق القتل ! وتم اختيار القتل بالسكين خصوصـًا : تأكيداً علىٰ الحرية التامة في اختيار الكيفية.. فهي حريتي الخاصة في القرار.. وقد

وافقتُ عليها.. هذه كل الصورة بكل توضيحٍ وصراحة" !

من جديد علت أصوات الصيحات دون أي تغيير.. ودون أي تأثر بحساسية الإجابة أو اختلاف الإجابات في كل مرة.. وهو ما جعل الزوجين يعتقدان أن الجمهور الحاضر هو شكل آخر من أشكال الضحك الذي يتم تشغيل صوته في البرامج والمسلسلات الهزلية !

"جميلٌ جداً دكتورة (نيفين).. الإجابة واضحة فعلاً كما قلتِ.. لكنها تجرنا إلىٰ نوعٍ آخر من الأسئلة التي يمكنك وصفها بـ (النسوية) إن صح التعبير.. يعني مثلاً :

لماذا أنتِ التي تطالبين بقتل زوجكِ لك وليس العكس ؟ ألا ترين في ذلك نوعاً من أنواع (الذكورية) التي يبدو أننا لم نتخلص منها تماماً بعد ؟ ورغم أن زوجك نفسه كان من أكثر المنادين بحقوق المرأة وتشجيع التعديلات النسوية في التشريع" ؟

تراجعت دكتورة (نيفين) بظهرها إلىٰ الخلف قليلاً وهي تقول بلهجةٍ أقرب إلىٰ المزاح :

"وهل سيكون عليّ الرد مرةً ثالثة أيضاً ؟ أم سنعطي زوجي المسكين فرصةً للرد في لقائنا الليلة" ؟!

وعلىٰ الفور قالت المذيعة في كياسةٍ :

"الأمر لكما دكتورة.. كما تشاؤون أو تختارون.. نحن نؤمن طبعاً بالمساواة حتىٰ في هذه.. لكن كالعادة.. نتابع بعد الفاصل.... ".

* * *

"في البداية أحب أن أشكركم جميعـاً علىٰ إتاحـة الفرصـة لنـا فـي هذا اللقاء.. والحقيقة السؤال منطقي فعـلاً.. لكـن يسـهل فهـم إجابتـه عندما نـذكر أن الاختيـار والقـرار كـان مـن (نيفين) نفسـها.. هـي التـي اختارت ذلك ونحن نفكر في سقفٍ جديـدٍ للحريـات لـم يـتم التطـرق إليه من قبل.. سقف جديد يصلح لاختبار إدارة (الحقوق والحريـات) والمجتمع كذلك.. لقد فكرنا في عدة أشياء.. عن نفسي مثلاً : فكرت فـي أن أخونهـا علـىٰ الهـواء مباشـرةً.. لكـن وجـدنا أن الفنـان (رائـد السامي) قام بذلك منذ شـهرين.. بـل وخرجـت زوجتـه الفنانـة (تـالي عيد) لتهنئه وتؤكد علىٰ أن توافقهمـا معـاً فـي أمـر الحريـات : يجسـد إيمانهما وتطبيقهما العملي للتشريعات الجديدة" !

قاطعته المذيعة قائلة بلهجةٍ ساخرة :

"بالطبع كنت تتمنىٰ أن تخوض هذا الأمر بنفسـك بـدلاً مـن الفنـان (رائد) ؟ أنتم الرجال تحبون هذه الأشياء كثيراً.. صحيح" ؟

ابتسم دكتور (ياسر) وهو يواصل قائلاً في هدوء :

"أعتقـد أنـه يجـب تسـميتها (حريـة شخصـية).. بغـض النظـر عـن استمتاعي بها أم لا.. القرار لي ولزوجتي وللطرف الثالث..

والآن نعود إلىٰ السؤال.. حيث فكرنا في موضوعٍ مُبتكر.. فذكرت زوجتي موضوع (القتل).. ذلك (التابوه) الذي يـرتبط غالبـاً بـالإجرام والعقاب في حق البالغين.. ماذا لـو عبثنـا بـه ؟ مـاذا لـو اتخـذناه سـقفـاً جديداً للاختبار ؟ هكذا سألتني (نيفين).. والحقيقة كنت في تعجبٍ

من جرأتها.. أنا أعرف ما أعطاه التشريع الجديد من حق قتل الأجنة مثلاً.. والذي نجح في رفع سقفه متخطياً حدود الأخلاقيات العلمية السابقة في كل العالم.. فجعله مباحاً ولو قبل الولادة بساعاتٍ دون أي ضرورةٍ طبيةٍ أو خطرٍ حقيقيٍ علىٰ الأم.. وقد حقق بذلك للمرأة الحرية التامة في جسدها كما طالبت طيلة السنوات الماضية.. فطالما كان الجنين داخل جسدها : إذن هو (عضو) من (أعضاء) الأم.. إن شاءت بتره أو حرقه أو تقطيعه.. فلها هذا !

وكذلك أنا أعرف ما أعطاه التشريع الجديد من حق القتل الرحيم.. سواء (القتل الرحيم القسري) مثل قتل المرضىٰ الغائبين عن الوعي لفتراتٍ طويلة.. فنجح في استبعاد الوصف القانوني لذلك بالقتل الجنائي.. أو (القتل الطوعي).. وقد نجح أيضاً في استبعاد الوصف القانوني له بالانتحار.. فصار لدينا تشريعٌ يُقر بأن القتل الطوعي هو حقٌ من حقوق أي إنسانٍ في إنهاء حياته بموافقته.. وبطريقةٍ آمنةٍ مثل السُمّ مثلاً : لا تسبب له الألم..

ومن هنا انبثقت الفكرة في رأس (نيفين).. لا في رأسي أنا !

هي التي فكرت في تعديل هذه الصورة الأخيرة من القتل الطوعي بشكل آمنٍ غير مؤلم : بالقتل الطوعي بالسكين ! وأطلقت سؤالها الجوهري : هل يتعارض ذلك مع أي بند من بنود الحقوق والحريات في التشريعات الجديدة ؟ وكانت إجابتنا بعد بحثٍ وتحري لكل البنود وحتىٰ مسوداتها – وهي عندي كلها – : أن لا ! لا يتعارض ذلك

مـع أي بنـد مـن بنـود الحقـوق والحريـات التـي أقرتهـا التشـريعات الجديدة الأخيرة.. والتي ننظر إليها الآن وينظر إليها العـالم مـن حولنـا أنهـا إنجـازٌ لـم يُسبق لأيٍ مـن الـدول تحقيقـه مـن قبـل : وبهـذا الكـمّ والكيف الذي صرنا إليه.. هذه هي كل القصة (رجاء)".

من وسط صيحات التشجيع انطلقت المذيعة من جديد :

"أوووه.. هذا شجاع جداً دكتورة (نيفين).. وسماعه من زوجـك بهـذا التفصـيل والتمجيـد لقراراتـك واحترامهـا يبعـث علىٰ الاحتـرام لكليكما.. بالفعل بدأتُ – عن نفسي – أميل لحريـة قراركمـا الجـريء هذا بعد ما عرفت ما ورائه من قصد.. لكن سؤال دكتورة (نيفين) : هل أنتِ بالفعل علىٰ استعدادٍ للقتل كما حـددتما يـوم ٢١ مـن هـذا الشـهر السـاعة العاشـرة مسـاءً ؟ أم كمـا يقـول الكثيـر مـن المتـابعين أنكمـا ستتراجعان في آخر لحظة.. بعد أن تكونـا قـد حققتمـا الغـرض الأكبـر مـن هـذا القـرار فـي تحريـك الـرأي العـام وإحـراج إدارة (الحقـوق والحريات).. وبغض النظر عما ستسفر عنه الأمور في النهاية" ؟

فتحت دكتورة (نيفين) فمها لتبدأ الرد.. فقاطعتها المذيعة :

"نستمع إلىٰ الرد بعد الفاصل.. تابعونا".

***

"أهلاً بكـم مـن جديـدٍ فـي هـذه الحلقـة الاسـتثنائية مـن برنـامجكم (كلام في سِرِّك).. كنا توقفنا عند سؤالنا للدكتورة (نيفين) عـن حقيقـة عزمها علىٰ الموت بسكينٍ علىٰ يد زوجها.. وأن حديثها إلىٰ الآن عـن

الموت أو القتل بتلك البساطة : يثير استنكار الكثيرين كعلامةٍ علىٰ تدني قيمة (حياة الإنسان) تحت نظام (الحقوق والحريات) الجديد.. فما هو ردِك أو تعليقك دكتورة" ؟

قالتها المذيعة وهي تنظر إلىٰ المخرجة التي رفعت إبهام يدها في علامة النجاح أو الفوز.. وهو ما يعني أن الحلقة بالفعل تسجل أرقامًا خيالية في عدد المتابعات علىٰ الهواء الآن في كل وسائل التواصل وإحصائيات القناة..

نظرت دكتورة (نيفين) إلىٰ زوجها ثم قالت مبتسمة :

"أهلاً بكِ من جديد (رجاء).. وأود أولاً قبل الإجابة علىٰ سؤالك.. أن أضيف تعليقًا صغيراً بخصوص السؤال الذي أجاب عليه (ياسر) منذ دقائق.. وهو بخصوص قراري الخاص بالموت بهذه الطريقة.. وأنه يمثل حريتي الشخصية وحقي التام في نفسي وحياتي.. فأقول رداً علىٰ استنكار بعض النسويات أن أكون أنا المقتولة لزوجي لا العكس : أنه من عجيب أمر النسويات والحقوقيات أنهن يناقضن أنفسهن دومًا.. وربما لذلك صرتُ أعذر الكتاب والمفكرين الذين يصفون المرأة كثيراً بالتردد وعدم الاستقرار علىٰ رأي ! فنجد نساءً يناضلن كي يقلدن الرجال في أي شيء.. حتىٰ في أخص خصائص الرجال الجسدية أو التشريحية أو النفسية.. ويرين ذلك انتصاراً لجنس النساء.. وفي المقابل : تشتكي مجموعةٌ أخرىٰ من ظلم المرأة إذا تم إسناد بعض الأدوار إليها دونًا عن الرجل ! ويرون في ذلك قهراً

لها واستغلالاً ذكورياً لضعفها !

وهكذا نرىٰ أن الفعل الواحد للمرأة : يُقابل تارةً بالقبول والثناء والتشجيع.. وتارةً أخرىٰ بالاستياء والشكوىٰ.. ومن هنا أقول للنسويات المعترضات علىٰ كوني أنا المقتولة لا زوجي :

لا دخل لَكُنّ في قراري.. هذا ما اخترته ولم أطلب مشورتكنّ".

وهنا انطلقت صيحات التشجيع مرةً رابعةً أو خامسةً في اللقاء لإعلان موافقتهنّ علىٰ هذا الرد الحاسم من الدكتورة.. في حين التقطت نفساً عميقاً لتعود إلىٰ الرد المطلوب قائلةً :

"أما بالنسبة للسؤال عن نيتي في الوفاء بقراري من عدمها : فأقول لكل متشكك أن الأحرار لا يتخذون قراراتٍ إلا وفي نيتهم الوفاء بها.. فقط نطالبكم نحن بكف الضغوط عنا.. سواءٌ من المكتب الأعلىٰ أو إدارة (الحقوق والحريات).. أو حتىٰ ممَّن يرفعون شعار (الإنسانية) في مقابل (الحرية).. فأقول لكم جميعاً : لن نتوقف ولن نستسلم للضغوط ولن نتراجع عمّا بدأناه.. فعن نفسي : لا أملك شيئاً لخسارته.. بل العكس : أسعد أن تنتهي حياتي بتأكيد قيمةٍ غاليةٍ لأعلىٰ سقفِ حريةٍ يمكن أن يتخيله إنسان.. وهو حريته في نفسه.. في حياته.. ولا أوافق أن يُسمىٰ ذلك (انتحاراً) رغم أن القانون كفل حرية الانتحار اليوم.. فالانتحار يأسٌ.. والانتحار ضعفٌ.. بل أقول أني أؤدي خدمةً ورسالةً لكل أحرار الأرض ! إما بتأكيد أنه (لا سقف لحريتهم).. وإما بدعوتهم للتفكر من جديدٍ ومراجعة كل قناعاتهم

السابقة عندما يدركون بالقانون أنه هناك بالفعل (سقفٌ لحريتهم) !

الأمر يتوقف علىٰ المشهد الأخير الذي سننتهي إليه.. والذي ستقرره إدارة (الحقوق والحريات) والمكتب الأعلىٰ.. إما يوافقون.. وإما يعلنون رفضهم رسمياً وتشريعياً - بكل وضوحٍ - أمامنا وأمام الشعب.. لا أن يلجأوا إلىٰ أية ضغوطٍ وتهديداتٍ من أي نوع".

"أووووه... رد قوي دكتورة (نيفين).. لم أكن أعلم بقوتك في الحوار والنقاش هكذا مثل دكتور (ياسر).. الحقيقة شاهدت لزوجك عدة لقاءاتٍ منذ سنواتٍ كان فيها قوياً في حُجته ومنطقه.. وكان له دور مثل زملائه في إهدائنا الحريات التي ننعم بها أخيراً اليوم..

لكن لم أعرف أنه يعطيك دروساً خصوصيةً في ذلك بالبيت علىٰ ما يبدو" !

ضحكت المذيعة وابتسمت دكتورة (نيفين) في حين قال زوجها :

"علىٰ فكرة (رجاء).. (نيفين) كانت من طالبات كلية طب الأسنان البارزين في الحركات الحقوقية.. ولم أتعرف عليها أصلاً إلا في بعض اللقاءات والمؤتمرات الحقوقية والنسوية.. يعني بإمكانك عكس كلامك والقول بأني أنا الذي تعلمت منها واستفدت كثيراً وليس العكس" !

"حقيقي دكتورة" ؟!

قالتها المذيعة وهي تتمنىٰ الإجابة بـ "نعم" لتعزيز مكانة المرأة في هذا المجال الجدالي القوي مثل الرجل.. لكنها فوجئت بإجابتها :

"لا بالطبع.. (ياسر) يبالغ.. وهو معتاد علىٰ الإطراء عليّ في كل مناسبة.. هو حقاً زوجٌ رائع".

وعلىٰ الفور تبدلت ملامح التربص بالدكتور في وجوه الحاضرات إلىٰ بصيصٍ من ملامح الأنثوية المُفتقدة المصحوبة بالآهات :

"أوووه.. لطيف".. "يا ليت لنا مثله"..

"هذا هو الزوج الحقيقي الذي تتمناه كل نسوية" !

وقبل أن تنتقل المذيعة إلىٰ سؤالٍ جديد والذي سيسبقه حتماً فاصلٌ إعلاني ! أكملت دكتورة (نيفين) كلامها قبل أن تنسىٰ :

"أما بالنسبة للذين يعيبون عليّ موقفي واستخفافي بالحديث عن حياتي أو موتي بهذه الصورة.. ويرون فيها امتهاناً لقيمة (حياة الإنسان).. فالحقيقة أنا التي أدعوهم للقاءٍ هنا في برنامجك يا (رجاء) وجهاً لوجه.. أو في أي برنامجٍ آخر.. وذلك لأواجههم بتناقضاتهم وأني لم أخرج عن السائد في بلدنا اليوم قدر أنملة !

هل يستطيع أحدهم أن يخبرني بالفارق بين قتلي بالسكين – وهو ما يعترض عليه – وبين قتل الجنين الحي الكامل في رحم أمه إذا أرادت ذلك ؟! هل يعلم معظم الحاضرين هنا كيف تتم عملية الإجهاض الاختياري الجراحي ؟ أم أن كل معلوماتهم هو ما في الأفلام التجارية من امرأةٍ تقفز من فوق الفراش أو المقعد ؟!

الإجهاض يا سادة هو فعلٌ دمويٌ بكل المقاييس.. يقوم فيه الأطباء بتقطيع جسد الجنين وهو حي ! وذلك ليخرجوه من رحم أمه قطعةً

قطعة بأدوات الجراحة والقص والالتقاط والإمساك ! حتىٰ أصحاب التراث المتزمتين ومع كرههم لأي علاقةٍ جنسيةٍ خارج الزواج وما يترتب عنها : كانوا يعترضون علىٰ الإجهاض إذا كان الجنين حياً أو نُفخت فيه الروح علىٰ حد قولهم ! لأنه يصير إنساناً في عُرفهم.. وله نصيبه من الميراث كذلك ! هل تتخيلون هذا ؟ ولم يبيحوا الإجهاض بعد نفخ الروح إلا في حال الضرورة وهي الخطر الأكيد علىٰ الأم".

تصاعدت التأوهات وأصوات التقزز والتأثر من أفواه الحاضرين.. بل الحاضرات إذا احتسبنا الكثرة الكاثرة داخل الاستوديو !

فواصلت دكتورة (نيفين) كلامها بنفس الثبات ولم يبد عليها التأثر مثلهم :

"يبدو أن أكثر الحاضرات بالفعل لم يكونوا يعرفون طريقة عمل الإجهاض طبياً.. نعم هذه هي الطريقة الحديثة للإجهاض.. وهي الأكثر أماناً للمرأة.. بعكس الطرق الأخرىٰ التي كنتم تظنونها وفيها خطرٌ عليها من القفز والحركة بهذه الصورة !

وسؤالي أنا الآن : طريقة قتل الجنين هي أشنع وأكثر دموية من طريقة قتلي التي اخترتها بالسكين.. وفي حين كان قرار قتلي : أنا التي اخترته بنفسي.. فالجنين لم يخبرنا عن موافقته علىٰ قتله بهذه الطريقة.. فلماذا توافقون علىٰ قتله إذن وتعترضون علىٰ قتلي" ؟!

وعلىٰ الفور التهبت أيدي أكثر النساء والشابات الحاضرات في الاستوديو بالتصفيق والتصفير والصيحات من هذا المنطق القوي

للدكتورة (نيفين).

في حين لم يسع دكتور (ياسر) وهو ينظر إلىٰ فرح هذا الجمع الهستيري بالقتل سواء للأجنة أو لزوجته إلا أن يقول بصوتٍ خافت :

"عالَمٌ مجنون" !

"نتوقف ونواصل مع السؤال الأخير بعد الفاصل".

* * *

"أهلاً بكم من جديد مشاهِداتي العزيزات والمشاهدين.. حيث اقترب موعد انتهاء حلقتنا الفريدة الليلة من برنامجكم (كلام في سِرِّك) الذي استضفنا فيه حصرياً دكتورة (نيفين) وزوجها دكتور (ياسر).. وذلك في أول ظهورٍ إعلاميٍ لهما بعد إطلاق سراحهما أمس.

ولولا ازدحام جدول القناة بالبرامج التي ستصب في نفس القضية بعد قليل.. حيث ستُعطىٰ فيها مساحةً أكبر للجمهور بالاتصال والنقاش مع كافة الأطراف ومع المختصين : لكنا طالبنا بمدّ وقت الحلقة لأكثر من ذلك.. لكن ما باليد حيلة.. ومن هنا : سأدمج سؤالين في سؤالٍ واحدٍ أوجهه للدكتور (ياسر) وهو :

ما تعليقك علىٰ الوضع الأمني المترتب علىٰ قضيتكم اليوم ؟!

وأقصد هنا : الوضع الأمني الذي قد يسببه التلاعب في موضوع الموافقة علىٰ القتل بهذه الطريقة ؟ والوضع الأمني العام في الشارع.. خصوصاً مع الاحتقان المتزايد الآن بين فئتين كبيرتين من الشعب..

فئـة (الحريـة) وفئـة (الإنسـانية) كمـا صـارا يطلقـان علـىٰ نفسـيهما ؟ تفضل"...

اعتدل دكتور (ياسر) في جلسته وكأنه سيلقي الكلمـة الختاميـة في أحد المؤتمرات.. ليقول في هدوءٍ واتزان :

"جميلٌ أنك أثرتِ هذه النقطة يا (رجاء).. حيث كثر الحديث عنها بالفعـل خاصـةً مـن جانـب مجموعـات (الإنسـانية).. ومـا أثـاروه مـن مخاوف سوء استغلال تشريع القتل إذا تمت الموافقة عليه.

فـأقول : إن أي قـانونٍ فـي العـالم وأي تشـريع : يمكـن أن يُسـاء استغلاله.. وهذا لا يطعن في أصل التشريع نفسه إذا كـان صـحيحـًا أو تم اعتماده بالفعل.. يعني مثلاً في موضوع تشريع الإجهاض كحقٍ تامٍ للمرأة الحامل (وحدها) هي التي تقرره.. ولو قبل الولادة بسـاعات.. السؤال هنا : هل ينص التشريع علىٰ الحـالات التفصـيلية التـي يمكـن للمرأة فيها اتخاذ قرار الإجهاض ؟! الإجابة : لا...

ودعوني أتوسع في الافتراض قليلاً.. يمكننا أن نتصور امـرأةً تقـوم بالإجهاض من اغتصاب.. أو من علاقـةٍ عـابرةٍ لا تريـد أن يكـون منهـا أبناء.. السؤال هنا : ماذا لو كان إجهاضها بسبب الفقر ؟ فقـد لا يكـون معها ما تنفق به علىٰ الوليد القـادم.. فهـل سـتقومون بعمـل اسـتجواب وتحري لكل حالة إجهاضٍ للوقوف علىٰ الظروف والملابسات ؟ هل ستساعدون الأمهات الفقيرات من أموال البلد ؟ لا أعتقـد هـذا.. بـل : وقد يكون الإجهاض لمجرد الإيذاء النفسي لزوجها ! أو لابتزازه مثلاً

بمبلغ مالي مقابل أن تضع له ابنه ؟! أليس هذا وارداً نفسياً ومجتمعياً خصوصاً مع أخلاقيات اليوم ؟ ولاحظوا هنا..

أنا لا أطلب منكم تقييم فعلها في هذه الحالات.. أنا فقط أعرض عليكم احتمالات.. ماذا لو كان إجهاضها بسبب نيتها في بيع بقايا الجنين إلىٰ إحدىٰ المستشفيات أو شركات الدواء للاستفادة من أعضائه ومكوناته الحيوية ؟! بل دعونا نذهب إلىٰ أبعد من ذلك : ماذا لو كان سبب الإجهاض هو الاستمتاع بتقطيع أشلائه في حفلةٍ كبيرةٍ مع الأصدقاء ثم تناوله كطعامٍ جزءاً جزءاً" ؟!

وهنا سمع الجميع صوت تقيؤٍ واضحٍ من بعض الحاضرات.. فواصل دكتور (ياسر) وقد أيقن بنجاح المثال الذي اختاره :

"كل هذه الصور - غير المذكورة في التشريع - تحدث والسؤال :

هل نقوم بإلغاء التشريع ؟! هل سنُعين مراقباً علىٰ كل حالة ؟ أعتقد إذا فعلنا ذلك لانحلت مشكلة البطالة في البلد ! هذا علىٰ افتراض خطأ بعض هذه الصور أصلاً.. لأنه هناك منها ما لا يتعارض مع قواعد (الحقوق والحريات) المنصوص عليها في القوانين !

فالأمر نفسه في قضيتنا هذه.. (نيفين) اختارت أن أقتلها بملء إرادتها.. ليس انتحاراً.. ليس إجباراً.. ليس فقراً أو حاجة.. فهل يستطيع القانون ضبط هذه الصور في تشريعه ؟ هل سيمكنه مراقبتها ؟

هل تتخيلون مثلاً شخصاً فقيراً.. تقوده الحاجة إلىٰ بيع جسده لأحد المصابين بالسادية ليقطعه قطعاً ويُمثّل به حياً قبل أن يقتله :

هل تتوقعون إذا سألنا هذا الفقير - الذي اختار ذلك بنفسه بالفعل - سيقول لنا : لا لم أختر هذا ؟ كيف وهو الذي سعىٰ إليه أصلاً ؟!

قد تتصورون أن يقول لكم مثلاً : الحاجة والفقر دفعاني لهذا لتستفيد عائلتي الفقيرة بالمقابل المادي.. وهذا خيالٌ ساذج ! لأنه وماذا بعد ؟ هل ستغدقون عليه بالمال ؟! هل ستسألون كل مَن تعمل بالدعارة ؟ كل مَن تبرع بأعضائه ؟ كل من تبرعت برحمها أو بالولادة لغيرها ؟ لو كان كل أولئك يعرفون أنكم ستساعدونهم لما كانوا باعوا أعراضهم وأعضاءهم وأنفسهم للقتل ! إذن : هذه مشكلتكم أنتم كمجتمع يمتلىء بالثغرات والتقصير نحو الفقراء.. ليست مشكلتنا نحن.. ولا مشكلة (نيفين) فيما اختارته.. ولا أشباه (نيفين) إذا تمت الموافقة علىٰ تشريع (القتل بالتراضي) وتمريره"..

لأول مرة منذ بداية الحلقة يلوذ الجميع بالصمت.. لأول مرة علامات الحيرة ترتسم علىٰ الوجوه حتىٰ مُخرجة البرنامج ! الكل يتساءل بداخله :

"هل يعني الدكتور (ياسر) ما يقوله حقًا" ؟!

"هل يتحدث بالفعل عن هذه الظروف الإنسانية بكل هذا الاستخفاف بالحياة وفقر الفقراء وحاجاتهم" ؟!

"أم أن الرجل يتلاعب بالجميع ! ويتعمد إثارة هذه القضايا في وجوههم بكل ما تحمله من تقزز وتدني أخلاق ؟ هذا إن كان هناك أي وزنٍ للأخلاق في ظل التشريعات الجديدة" ؟!

في داخله شعر دكتور (ياسر) بأنه قد نجح في هدفه.. وكذلك زوجته : شعرت بصواب رأيه عندما اختار هذه القناة وهذا البرنامج خصيصاً ليظهرا فيه.. ودوناً عن عشرات القنوات والبرامج الأخرىٰ التي تمنت الحصول علىٰ أول ظهورٍ لهما !

فواصل دكتور (ياسر) حديثه ليضع اللمسات الأخيرة :

"أما بالنسبة للوضع الأمني العام في الشارع.. فأنا الذي أدعو جماعة (الإنسانية) بالتحكم في النفس.. حيث أن مصادماتهم العنيفة الأخيرة صباح اليوم في شارع (النهضة).. تشير إلىٰ أن مسيرتهم الاحتجاجية التي أعلنوا انطلاقها غداً : لن تكون سلميةً أبداً مع تهديداتهم المتصاعدة.. أيضاً : أخاف علىٰ نفسي و(نيفين) من أية محاولاتٍ للاعتداء علينا أو القتل.. لهذا أطالب المسؤولين باتخاذ اللازم لتأمين الفيلا الخاصة بنا من المتجمهرين خارجها.. وهذا من حق أي مواطنٍ يتعرض لمثل هذا الخطر والتهديدات الصريحة..

هذا كل ما لدي".

***

إلى النهاية

"أهلاً بك (رأفت).. تفضل".

قالها البروفيسور وهو يشير إلىٰ دكتور (رأفت) تجاه الأريكة الوثيرة في صالة الجناح الفندقي الخاص به.. ثم أردف وهو يفك رابطة عنقه ويجلس مقابله :

"لا تقلق.. (سيِّد) سيكون هنا في أي لحظة.. لقد أخبرته بطلبك.. ووعدني بفتاةٍ جديدةٍ ستسعَد بلحظاتك معها كثيراً".

قام دكتور (رأفت) بفك رابطة عنقه بدوره.. ثم غاص بجسده في الأريكة الوثيرة قائلاً :

"المشكلة أمامي ساعتان فقط قبل العودة إلىٰ زوجتي.. لا أريد أن أتأخر عليها".

ضحك البروفيسور ضحكةً ساخرةً قائلاً :

"صدقني.. لن نتخلص من وصاية الزواج إلا عندما يتم تجريمه رسميًا ! أو نعيد قبول حلول التراث في التعدد بعد أن لفظناها ! لا أعرف لماذا لا ترضىٰ الزوجات بتعدد الخليلات ؟! هل تشعر زوجتك بأي نقصٍ تجاهها ؟ هل تقصر في حقوقها ؟! لا أصدق أن عَلَمًا مثلك من أعلام (الحقوق والحريات) يلجأ إلىٰ قضاء متعته في السر ! يا رجل : (رائد السامي) قام بتصوير نفسه ونشر الفيديو بين

الناس ! وأنت تختبئ"؟!

لم يكن يحب دكتور (رأفت) التبسط كثيراً أمام البروفيسور.. لكنه بادله السخرية بالمزاح قائلاً :

"اعطني زوجةً مثل (تالي عيد) وأنا أعدك بما تقول".

قهقه البروفيسور قائلاً :

"وما الذي يمنعك من تطليق (سارة)" ؟

"لا أستطيع الابتعاد عن الولدين للأسف.. حاولت تجربة ذلك في أكثر من سفر.. لكن شعرتُ في كل مرةٍ بأن جزءاً مني تركته بالبيت" !

قالها دكتور (رأفت) وهو يعود برأسه إلىٰ الخلف متطلعـًا إلىٰ السقف.. فنظر البروفيسور في ساعته قائلاً :

"الطلاق سيتيح لك زيارتهم إجباريـًا مرةً في الأسبوع.. ويمكنك زيادتها لو اتفقت مع (سارة).. ما رأيك" ؟

عاد دكتور (رأفت) برأسه إلىٰ الأمام قائلاً في تأثر :

"أعتقد أن الأثر النفسي السيء عليهما هو ما أخافه.. أقصد العيش بين والدين منفصلين.. حتىٰ لو تزوجت (سارة) بآخر من بعدي.. لا أعلم تأثير كل ذلك عليهما.. للأسف الشديد أنا كثير التأثر بهما.. أحيانـًا.. أحيانـًا أتمنىٰ أني لم أنجب قط.. هما نقطة ضعفي في كل ما أعايشه اليوم من صراعات.. كما أن علاقتي بـ (سارة) ليست بتلك التي تتوقعها.. كمّ هي معقدةٌ تلك المشاعر الإنسانية" !

ابتسم البروفيسور في استسلام وهو يقول :

"لذلك لم نشدد علىٰ حظر التعدد.. أشفقنا علىٰ الأزواج البؤساء مثلك.. فهم رجالٌ في آخر الأمر.. تركنا لهم الزواج سراً أو الزواج العُرفي.. لكن دعنا من كل ذلك.. هل شاهدت (ياسر) بالأمس" ؟

قام دكتور (رأفت) بعقد ذراعيه أمام صدره قائلاً في عدم اكتراث :

"منذ أعطينا الضوء الأخضر للإعلام في استضافته و(نيفين) وهم لا يقصرون ! تقريباً كل يوم أو يومين لقاء هنا ولقاء هناك.. لقد نجح إلىٰ الآن في كل ما خطط له.. لم يعد يغيظني الوضع حالياً.. لم تستمعوا لي منذ البداية.. والآن نجح في إجبارنا علىٰ الانتظار معه إلىٰ النهاية.. إلىٰ اللحظات الأخيرة".

قام البروفيسور ليعد كأسين من الخمر قائلاً في عصبية :

"لو لم يفشل هذا المخذول (فضل).. لما كنا وصلنا إلىٰ ما وصلنا إليه الآن.. سمعت أن مقتل ابنه في حادثٍ منذ يومين كان عقاب المكتب الأعلىٰ له.. لولا خوفهم من لفت أنظار الإعلام لكانوا قتلوه هو لا ابنه.. لقد حذرناه.. مممم.. أرجوك ننسىٰ هذا الموضوع الآن.. لا حاجة لنا في تعكير المزاج تلك الليلة".

هز دكتور (رأفت) رأسه في أسىٰ قائلاً :

"يا للمسكين.. أعتقد لو كانوا قتلوه لكان أرحم به من قتل ابنه.. ما ذنبه ؟ ولا زلت عند رأيي في عدم تحميل الرجل أخطاءنا التي فاقت فشله بمراحل ! لكن كما قلت.. دعنا لا نفسد الليلة".

عاد البروفيسور وقدم له كأس الخمر مستعيداً هدوءه قائلاً :

"دعنا نشاهد لمَن تكون الغلبة إذن.. لم يكن هناك أفضل من هذا الحل.. الحُجة بالحُجة.. والمكتب الأعلىٰ والإدارة يقرران الحل الأخير بعد انتصار أحد الرأيين.. وأعتقد أنهم لن يقصرون في تسوية الأمر في النهاية كما وعدونا.. وبطريقةٍ احترافيةٍ تضمن لهم استقرار الشارع.. مع عدم فقداننا لمكتسباتنا الأخيرة.. لم يفصحوا لي عن التفاصيل بعد.. لكن توليهم الأمر أبعد عن كاهلنا هذا الحِمل الثقيل".

رن جرس الباب.. فمال البروفيسور ليتناول جهازاً بجواره ويضغط زراً فيه قائلاً :

"مَن" ؟

"أنا بروفيسور.. أنا (سيِّد)".

أتاه الرد عبر نفس الجهاز.. ليضغط البروفيسور بعده زراً آخر لفتح الباب قائلاً للدكتور (رأفت) بلهجةٍ مرحة :

"ها قد جاءك صيدك يا صياد"..

دخل عليهما رجلٌ ضخمٌ وبجانبه شابةٌ من أجمل ما ترىٰ.. وبجانبها طفلةٌ صغيرة.. نظر دكتور (رأفت) إلىٰ البروفيسور في استنكار :

"أنت لم تترك هذه العادة بعد" ؟!

ضحك البروفيسور قائلاً :

"لا تقلق.. لن نزعجك بأصواتنا.. هذه لك.. وهذه لي" !

تقدمت الشابة والطفلة في استسلامٍ يقودهما (سيِّد).. كلٌ إلىٰ غرفتها في انتظار البروفيسور ودكتور (رأفت).. والذين انتظرا قليلاً لإنهاء كأسي الخمر.

"لكن أخبرني.. كيف تأتون بهؤلاء الفتيات الصغار ؟ الذي أعرفه أن المجتمع لا زال يرفض هذه الصورة من الحريات مع الفتيات أصغر من ١٤ أو ١٣ سنة ! يعني الموضوع - من المفترض - لا زال نادراً أو قليلا.. في حين أرىٰ في كل مرةٍ طفلةً جديدةً معك" !

قالها دكتور (رأفت) متعجبًا.. فرد عليه البروفيسور في برود :

"ثلاث طرق تصنع أي عاهرة عزيزي.. إما الفقر القاتل سواء لأهلها أو لأبنائها ! وإما الرغبة في الشهرة السريعة أو الثراء السريع ! وإما خوف الفضيحة بعد الاستدراج بالصور أو الفيديوهات ! الأمر بسيط.. يتطلب فقط تنظيمًا وحماية".

"وهذه الفتاة من أي نوعٍ" ؟!

قالها دكتور (رأفت) وقد فرغ من كأسه واستعد لدخول غرفته.. فتجرع البروفيسور البقية الباقية من كأسه هو الآخر ثم قال :

"لا أعرف.. لم أعد أسأل.. لكن غالبًا هؤلاء الصغيرات وبفضل التعليم الجنسي مع الفضول في ذلك السن الصغير : يقعن ضحيةً لصور وفيديوهات مواقع الشات لكل مَن يوهمهن بالحب ! أو لكل مَن يعدهن بالعمل في عروض الأزياء.. هذا السن الصغير سهل الخداع إلىٰ درجةٍ لا تتخيلها (رأفت).. تكفيك كلمة إطراء علىٰ فتنتها

وجمالها مع جوعها العاطفي وانشغال أسرتها عنها : لتجعلها كقطعة الصلصال في يديك تأتمر بما تشاء ! ثم يأتي التهديد بالفضيحة ونشر الصور أو الفيديوهات في مدرستها أو لأهلها.. والباقي أنت تعرفه" !

شعر دكتور (رأفت) بالإشمئزاز.. ثم انتبه إلىٰ أن فتاته الشابة التي تنتظره الآن : قد تكون هكذا هي الأخرىٰ ! لكن....

لم يمنعه ذلك من الاستمرار !

* * *

أقسى عقاب

استلم حارس الفيلا مفاتيح السيارة من دكتورة (نيفين).. لتدخل إلىٰ صالون الاستقبال الرئيسي منهكةً من التعب.. صعدت إلىٰ الطابق العلوي وهي تسمع صوت (جنا) من غرفة الألعاب.. لا بد أنها عادت من الحضانة.. لم تسمع أي صوتٍ لزوجها.. بالتأكيد ليس بالفيلا.. ما كان ليصمت أثناء لعب بنت الخمس سنوات !

قامت بتغيير ملابسها وخرجت تنادي علىٰ الخادمة لتتفقد معها طعام الغداء.. كانت تنتظر خروجها من غرفة الألعاب.. لكنها فوجئت بها تخرج من المطبخ !

"لماذا تتركين (جنا) وحدها يا (سُمية) ؟ ألم أقل لك من قبل لا تتركيها وحدها أثناء اللعب في غياب الدكتور" ؟!

قالت الخادمة في استكانةٍ وتبرير :

"لكن الدكتور موجودٌ بالفعل معها في الداخل" !

توقفت دكتورة (نيفين) في تعجب.. ليست من عادته الصمت وهو مع (جنا).. خاصةً في وقت اللعب !

"حسناً.. اذهبي لإعداد الغداء كما راسلتك به علىٰ الواتس.. وعندما تنتهين من وضع الطعام أخبرينا".

قالتها في اقتضابٍ وهي تتوجه إلىٰ غرفة الألعاب لتنظر بداخلها في توجس.. فإذا بزوجها جالسٌ بالفعل علىٰ طاولةٍ صغيرة.. لكنه

مستغرقـاً تمامـاً في تفكيرٍ عميق.. وكأنه حتىٰ لا يرىٰ (جنا)..

"أنت هنا (ياسر) ؟! ظننتك لـم تـأتِ بعـد.. خيـراً ؟ مـاذا هنالـك ؟ أنت حتىٰ لم تنتبه إلىٰ وجودي ولم تسمع صوتي" !

قالتها متعجبةً من هذا الوضع غير المعتاد.. فانتبه قائلاً :

"أبـداً حبيبتـي.. كـان عنـدنا جلسـة نقاشـات وتصـويت اليـوم فـي الإدارة".. ثم أضاف مع تنهيدةٍ وأسف :

"وكالعادة.. لم أستطع تغيير مسودة قوانين الطفل الجديدة".

جذبت دكتورة (نيفين) مُكعبَ ألعابٍ كبيرٍ في ارتفـاع المقعـد مـن ألعاب ابنتها لتجلس عليه.. ثم أمسكت يده في رفقٍ قائلةً :

"ها أنت قلت بنفسك : (كالعادة).. هكذا جرت الأمـور ولا زالـت حبيبي.. فلماذا الانشغال والهمّ ؟ بالتأكيد رأي الأغلبيـة لـه مـا يُبـرره.. وعليك أن تحترم ذلك وتتذكره دومـاً في مثل تلك المواقف".

أشاح دكتور (ياسر) بوجهه بعيداً عنها وكأنـه يتجنـب النظـر إليهـا.. ثم نادىٰ علىٰ الخادمة لتغسل يدي (جنا) وتغير لهـا ملابسـها استعداداً للغداء.. ثم قال بعد أن جلس من جديد :

"المشكلة الأكبر حبيبتي.. أني لـم أعـد أشـعر أن رأي الأغلبيـة هـو الـذي يسـود ! يومـاً عـن يـوم أشـعر بتمـايز المصـوِّتين إلـىٰ صـنفين.. صنفٌ لا يفهم خطورة تلك القوانين علـىٰ الأطفـال أو لا يكتـرث بهـم أصلاً.. حتىٰ أن منهم مَن ليس لديه أطفالٌ بالأساس ! والصنفُ الآخر يتبـع فـي تصـويته رأي الشخصـيات الكبيـرة فـي الإدارة : متجنبـاً أي

تصادمٍ معهم أو اعتراضٍ خوفاً علىٰ مكانته.. بل خوفاً علىٰ مكتسباته وامتيازاته التي اكتسبها عند انضمامه إلىٰ الإدارة"..

سكت دكتور (ياسر) للحظاتٍ قبل أن يضيف في أسىٰ :

"أخشىٰ أني مع الوقت سأصير مثل هذا الصنف الثاني للأسف.. هذا إن لم أكن قد صرتُ مثلهم بالفعل" !

لم تجبره زوجته علىٰ النظر إليها.. لكنها سألته في لهجةٍ متوترة :

"ماذا تعني بأنك صرت أو ستصير مثلهم" ؟!

تنهد زوجها تنهيدةً يملأؤها الألم والغصة والخوف.. ثم قال في صوتٍ متهدجٍ وقد رفع رأسه ليدور بها في المكان مع إشارةٍ مسرحيةٍ بيديه :

"أقصد كل هذا.. الفيلا.. السيارة.. الراتب العالي.. حتىٰ الخادمة والحارس.. كل هذا يا (نيفين).. أعني كل هذا....!

كل هذا صار عبئاً علىٰ حريتي.. علىٰ تصويتي.. أفكر بدلاً من المرة عشرة قبل أن أعترض أو أقف في طريق تشريعٍ ما هنا أو هناك.. لكن ألمي النفسي يتفاقم.. فكما أخبرتك من قبل.. قد أستطيع التهاون في التشريعات التي تمس الكبار.. فهم أحرار.. لكن ماذا عن الصغار ؟ ما ذنب إنسانٍ في أن يُقتل أبشع قتلةٍ وهو جنين في بطن أمه فقط : لأن التي حملته قررت ذلك بلا أي ضرورة ؟! بل وبكل استخفافٍ بالحياة ؟! ما هي قيمة الإنسان في هذا العالم ؟ هل لنا قيمة جوهرية متعلقةً بذواتنا بمجرد الحياة ؟ أم بمجرد الولادة" ؟!

أمسكت دكتورة (نيفين) بذقنه لتوجه أنظاره إليها قائلةً :

"حبيبي.. (ياسر).. ألا تلاحظ أنك صرت تناقش ما كنا نعده بالأمس من كمال حقوق المرأة ؟! هل نسيت أن أغلب نضالي منذ أيام الجامعة كان في هذه الحقوق والحريات تحديداً ؟! ماذا حدث لك ؟! هذا الإنسان حظه أن يأتي إلىٰ الدنيا بهذه الصورة.. ليس خطأك ولا خطأي ولا خطأ أمه ! عزاؤنا الوحيد أنه لا يدري ما فُعِلَ به.. إنسانٌ لا حول له ولا قوة ومات.. مثله يموتون بالآلاف كل يومٍ في الحوادث والحروب.. هذا لو اعتبرناه إنساناً كاملاً أصلاً".

استجاب دكتور (ياسر) إلىٰ توجيه نظره إليها.. ثم قال في لهجةٍ يملأها الشك والتردد :

"وهل الإنسان يولدُ ناقصاً ثم تزداد (إنسانيته) بمرور الزمن ؟! هل (جنا) بعد أول يومٍ من ولادتها : لم تكن إنسانة كاملة لها حقوقٌ ويُعاقَبُ علىٰ قتلها مثل (جنا) نفسها بعد مرور عام ؟! مثل (جنا) نفسها بعد مرور خمسة أعوام ؟! أغلب نسب الإجهاض هي بسبب علاقات خارج الزواج.. فلماذا لا نقول إذن إنه خطأ أمه ؟! أليست هي المتسببة في معاناته بهذه الصورة عندما فرطت في نفسها ؟ أو حتىٰ فرطت في أخذ الحيطة من عدم الحمل في فعلته.. و التي كلّفت إنساناً آخرَ حياته مُمزقاً بين مِقصٍ ومِلقاط ! فإن نجا فهو إما محروم الأب أو ترميه لقيطاً ملفوظاً من المجتمع أو في دار أيتامٍ أو إيواء" ؟!

همّت زوجته في أن تخبره بأنه صار يتحدث مثل عبيد التراث..

ومثل الظلاميين أعداء الحريات الذين طالما حاربهم لسنواتٍ وناضل من أجل كسر شوكتهم.. لكنه لم يمهلها إذ واصل قائلاً :

"هذه حالةُ تشريعٍ واحدةٍ فقط من التي تعتصرُ قلبي.. أنظري إلىٰ تشريعٍ آخر لا أراه إلا جريمةً في حق الأطفال الذين سيقعون فيه بلا ذنبٍ أيضـًا للأسف".

تنفست الصعداء لأنه ترك موضوع (الإجهاض) الذي طالما دافعت عنه في الماضي.. فسألته :

"وما هو" ؟!

فأجاب والحسرة تعتصر قلبه كما يظهر في ملامحه :

"أولئك الشواذ أضرارهم لا تنتهي.. يعني أخبرونا في البداية أن شذوذهم هو طبيعة جينية فيهم لن تتغير مثل لون البشرة ونوع الشعر.. أنت نفسك أكدتِ لي هذا (نيفين) لو تتذكري.. لكن كل الأبحاث العلمية بعد ذلك : نفت هذا التأكيد وهذا اليقين الذي بنينا عليه (للأسف) قوانينـًا وتشريعات !

تخيلي كمّ من خطرٍ زرعناه بأيدينا في المجتمع وفي البيوت البريئة لتنتقل إليهم عدوىٰ الإيدز أو الزهري أو حتىٰ الهربس : لمجرد مخالطتهم شاذاً وهم لا يعرفون ؟! المنشفة التي يستخدمها.. فرشاة الأسنان إذا اختلط لعابه بلعابهم .. بل زوجته المسكينة إذا لم تعرف بشذوذه وأخطار ذلك عليها ؟! فضلاً عن اعتدائهم علىٰ الأطفال ! كل هذا لأننا فتحنا لهم الباب في المجتمع بلا تضييق ولا تجريم.. بل

صار التجريم والعقاب من نصيب كل مَن يُعلن عن إمكانية علاجهم سلوكيًا ! هل تتصورين ما وصلنا إليه ؟! لقد صار التشريع يعاقب مَن سيساعدهم سلوكيًا ونفسيًا" !

عقدت زوجته يديها أمام صدرها في برودٍ قائلة :

"(ياسر).. وقت تشريع حقوق الشواذ : لم تكونوا علىٰ علمٍ بأنهم يلجأون إلىٰ الممارسة مع الأطفال سواءٌ برضاهم أو استغلالهم" ؟!

فقال بنفس الحسرة التي بدأ يشوبها غضب :

"هذا أعرفه.. وكنا نتركه لردع القانون لهم في حال استغلالهم الأطفال.. أما الذي سأحدثك عنه الآن فهو مصيبة أخرىٰ صار القانون نفسه يكفلها للشواذ ! أعني هنا الأطفال ضحايا كل شاذٍ أو شاذةٍ يتقمص دور الإنسان الذي يشتاق إلىٰ تربية الأطفال ! هذا ما كنت أحاول إقناعهم بإجرامه في تصويت اليوم ! تخيلي معي طفلاً أو طفلة كل ذنبه في الحياة أن اثنان من الشواذ اختاراه ليتبنياه !! هل تتخيلين قدر المأساة ؟! يعني إذا كانا رجلين : فقد حرماه من حق الأم ! حتىٰ يتيم الأم يحيا علىٰ شعورٍ أنه كانت له أمٌ تحبه وقت ولادته وترغب في الحياة معه ما حيت.. ولو كانا امرأتين : فقد حرماه من حق الأب ! تخيلي معي طفلةً بريئةً مثل (جنا) تنشأ بدون أب ؟ هل تعلمين ما قيمة الأب في حياة ابنته يا (نيفين) ؟ ألا ترين تلك العلاقة الخالصة بيني وبين (جنا) ؟! حبٌ صافي بين ذكر وأنثىٰ خالي من أي رغبةٍ ماديةٍ أو مصلحةٍ إلا إيثار الأب لابنته في كل شيء.. وهي كذلك تعطيه ما لن

تعطيه أي أنثىٰ أخرىٰ في حياته.. الحب الصافي.. الطاعة بلا تشغيب.. بلا مشاكل ! الحنان الذي يمتد إليه وكأنه من أمه" !

كاد أن يبكي مع هذه الكلمات التي يستشعرها من كل قلبه.. لقد صار مؤخراً أكثر عرضةً للبكاء في المواقف العاطفية.. وهو ما لم يفعله منذ أن كان طفلاً ! فقاطعته زوجته وقد بدأت تتوجس من لهجته ومواقفه – بل ومن كلامه وآرائه مؤخراً – :

"يعني كل هذا الحزن والاكتئاب من أجل تشريع تبني الشاذين للأطفال ؟ وهل اشتكىٰ الأطفال إليك يا (ياسر)" ؟!

نظر إليها نظرة عتابٍ قائلاً :

"هذه مشكلةٌ أخرىٰ.. وهي أنهم لن يستوعبوا الإجرام الذي يتم في حقهم الآن.. ولكن بعد سنوات.. وساعتها مَن سيكون المسؤول عن معاناتهم" ؟!

سكت لحظةً ثم قال :

"هذا غير المفاهيم والعادات الخاطئة التي سيكتسبونها من هذه العائلة الشاذة.. كل هذا لإرضاء (أنانية) اثنين قررا أن يسيرا عكس طبيعتنا كبشر ! أتعرفين (نيفين).. أحياناً أسأل نفسي : لو كان هناك قَدَر.. وكان في هذا القَدَر عقابٌ لي علىٰ تفريطي وصمتي في جرائمَ تشريعيةٍ شاركتُ فيها.. سواء التي عرفتها.. أو التي لم أعرفها.. عقابٌ لي علىٰ مئات أو آلاف البشر الذين سيفقدون حياتهم بسببي ؟ الذين سيفقدون أحبابهم بسببي ؟ الذين سيفقدون حتىٰ هوياتهم الجنسية

بسببي ؟ فما هو (أقسىٰ عقابٍ) أستحقه" ؟

نظرت إليه زوجته في تعجبٍ من هذا التفكير.. ثم قالت :

"هل هذا سؤال ؟! هل تسألني أنا ؟ أم تسأل نفسك ؟ أم تسأل القَدَر" ؟!

فأجابها وفي عينيه نظرة شفقةٍ أقرب إلىٰ الخوف :

"بل أسأل نفسي.. أتعرفين.. الموت لن يكون بذا العقاب الذي يؤلمني.. ولا حتىٰ موتك.. شخصٌ واحدٌ فقط الذي يمكن لموته أن يقتلني مائة مرةٍ ومرةٍ في اليوم"...!

سكت دكتور (ياسر).. فقالت زوجته في تلقائيةٍ دفعها إليه كلامه :

"القَدَر.. الانتقام.. للأسف (ياسر).. يزيد اقتناعي يوماً من بعد يومٍ في الفترة الأخيرة أنك صرت تتحدث مثل عبيد التراث.. مثل الظلاميين.. ربما لأنه كانت لديهم تشريعات قريبة مما تحلم به" !

وهنا انتفض دكتور (ياسر) فجأة مع كلامها الأخير.. وكأنها ذكَّرته بشيءٍ ما.. أو الأحرىٰ : بشخصٍ ما" !

وعلىٰ الفور قام من أمامها ليسير - وخلفه زوجته في تعجب - تجاه غرفة الطعام التي كانت تنتظرهما فيها الخادمة وابنته..

وخُيِّل إلىٰ دكتورة (نيفين) أنها سمعته يقول :

"(مجدي)"...!

***

جولة في أخبار يوم ٨ من الشهر

صحيفة (بلادنا الحرة) : القاضي يقبل طعن إدارة (الحقوق والحريات) في قضية (القتل بالتراضي) - كتبت (غادة ياسين) :

في تطور جديد للأحداث في قضية (القتل بالتراضي) الشهيرة.. قبل المستشار (عادل حسين) طعن إدارة (الحقوق والحريات) علىٰ حكمه بالإدانة في قضية (القتل بالتراضي) لدكتور (ياسر) وزوجته دكتورة (نيفين).. وقد أعلن سيادته أن القضية ستعود لأخذ مجراها في التداول.. لكن دون فصلٍ بين الزوجين.. وهو ما أثار جدلاً كبيراً.

***

موقع جريدة (ساعة بساعة) : اعتداءٌ جديدٌ علىٰ كاميرات مراقبة الشارع خارج فيلا دكتور (ياسر) وزوجته.

***

موقع (جرين روك سبوت لايت) البريطاني : أنباء عن ربط نتيجة المحكمة الدولية في قضية حذف البث المباشر لـ (القتل بالتراضي) المرتقب ليلة ٢١ علىٰ يوتيوب وفيسبوك : بحكم القاضي المحلي بعد الطعن – كتب (جونسون كينج) :

يبدو أن الموقف المشتعل بين ممثلي فريق (الحقوق والحريات) العالمي وبين ممثلي شركتي يوتيوب وفيسبوك في قضية (القتل بالتراضي) سيشهد انفراجةً قريبةً بربط الحُكم النهائي فيه بحكم

القاضي المحلي.. وذلك بعد أنباء قبول الطعن بالأمس.. وهو ما يعني إمكانية أن يشهد العالم – ولأول مرة – بثـًا مباشراً لعملية قتل علىٰ منصات التواصل الاجتماعي دون حجبٍ أو حذف.. وهي السابقة التي أثارت – ولا زالت – عاصفةً من الاحتجاجات الشعبية العريضة المؤيدة لعدم البث.. والمؤيدة لإعادة معاقبة الزوجين المتهمين بالإثارة والبلبلة.. في حين علىٰ مدىٰ أكثر من شهر لا زالت تثري القضية مئات اللقاءات وبرامج التوك شو وحسابات المفكرين والفلاسفة الحوارية في كل مكان.. مما يمثل علامة (فارقة) في تاريخ الإعلام ووسائل التواصل والقضاء.

***

موقع صحيفة (حرائر) : حملة جديدة من جمعية (حرائر اليوم) لمقاضاة ٦٥ صحيفة وقناة إعلامية.. مع بلاغين في حق حلاقٍ للشعر ودكتور جامعي – كتبت (هالة الأسمر) :

في حملة مقاضاة جديدة لناشطات وحقوقيات جميعة (حرائر اليوم) تم توجيه ٦٥ بلاغـًا عن (عدم المساواة) في حق ٦٥ صحيفة وقناة إعلامية لتعمدهم ذكر دكتور (ياسر) قبل زوجته دكتورة (نيفين) في أخبار قضية (القتل بالتراضي) الشهيرة.. وفي نفس السياق :

تم تقديم بلاغ من الأستاذة (نجوىٰ الداني) في حق (م.ع) – ويعمل حلاقـًا للشعر – لامتناعه عن حلق شعر ابنة الأستاذة (ك. ر) وذلك بدعوىٰ أنه حلاق شعر (رجالي) وليس (نسائي).. كما تم

تقديم بلاغ من الجمعية في حق دكتور (س.ر) أستاذ التشريح بكلية طب العاصمة لتعمده تعليم طلابه أن النوع الإنساني ينقسم بصورةٍ رئيسيةٍ إلىٰ جنسين فقط ذكر وأنثىٰ.. وادعائه بأن فتح باب تحديد كل شخص لجنسه باختياره بدعوىٰ حرية الجندر هو عبثٌ بالطبيعة والعلم معًا.. مع قيامه دومًا بالسخرية من قوانين حرية الجندر التي أقرتها التشريعات الأخيرة.. وهو ما ظهر في تسجيله الأخير المنتشر علىٰ وسائل التواصل منذ الأمس.. والذي قال فيه : ما معنىٰ أن ترصد أجهزتنا سيارةً : في حين يعطي القانون صاحبها الحق في أن يجعلنا نتعامل معها علىٰ أنها مركب ؟!

***

موقع (حريات قاتلة) : جرس إنذار .. ثالث حالة انتحار لفتاة بعد حملها.. وذلك منذ انتحار (جنا) ابنة بطلي قضية (القتل بالتراضي) الشهيرة – كتبت (هند المتولي) :

لا زلنا نجني ثمار الحنظل من فرض التعليم الجنسي في المدارس.. فمن بعد انتحار (جنا) و (ياسمين) .. تطل علينا فاجعة انتحار (سجا) في أقل من عام.. فهل سنشهد حادثة انتحارٍ جديدةٍ قبل نهايته ؟ أم يظل العام قبل الماضي صاحب أعلىٰ عدد مرات انتحار بين فتيات المدارس من الحمل ؟ هذا عن الحالات المسجلة فقط داخل منظمة (طفلي) ؟ فماذا عن حالات الانتحار خارج المنظمة ؟ وماذا عن العدد الحقيقي لحالات الحمل من زميل الدراسة أو

الصديق أو القريب ؟ هل تحولت بناتنا إلىٰ عاهراتٍ صغيرات ؟

هذا نداءٌ جديدٌ إلىٰ السيد مدير (المكتب الأعلىٰ).. مع استمرار نضالنا الحقوقي والقانوني في وجه إدارة (الحقوق والحريات).

❋ ❋ ❋

جريدة (غدٍ أفضل) : جمعية (صحفيون مُهمّشون) تعلن شجب واستنكار تمييز مهام وأعمال ورواتب النساء عن الرجال في الإعلام.

❋ ❋ ❋

موقع (نساء بلا حدود) : الدكتورة (بدرية علي) : إقرار أي مزايا أو تسهيلات عملٍ للمرأة بسبب ضعفها الجسدي : هو إهانة لمكانتها.. وخسران لمكتسباتنا التي ناضلنا من أجلها لسنوات.

❋ ❋ ❋

موقع (طريق طويل) : (لوسي فركوز) : الذين يهاجمون استغلال المرأة لجسدها في بيوت الدعارة المقننة يحسدونها علىٰ دخلها الشهري.. لم أندم يوماً علىٰ ترك دراستي للتحصيل الأسرع للمال.. لولا تشريعات حقوق المرأة الأخيرة لم يكن لنا نقابة وقانون يحمينا.

❋ ❋ ❋

صحيفة (الكرامة) - دكتورة (غادة راضي) :

تسليع جسد المرأة وامتهانها إعلامياً وفي بيوت الدعارة يشوّه مسيرة حقوق المرأة.. يملأون الدنيا صراخاً لبلاغ زوجةٍ عن إجبار زوجها لها علىٰ المعاشرة.. في حين مافيا بيوت الدعارة المقننة :

تصمّ أذني النقابة عن شكوىٰ العاهرات المقهورات من حدّ المعاشرة اليومية.. والذي تخطىٰ في بعض الحالات ٣٠ مرةً في اليوم !

* * *

موقع (أخبار تهمك) : أعمال الشغب وإعاقة الطريق حول فيلا دكتور (ياسر) وزوجته : تعيق خروجهما للمرة الرابعة علىٰ التوالي في يومين – كتبت (سها أحمد) :

للمرة الرابعة في يومين تقوم الجماهير المحتشدة حول فيلا دكتور (ياسر) وزوجته بمنعهما من الخروج.. حيث كان من المفترض تسجيلهما لقائين في قناة (أمجادنا) وقناة (سديد).. مع أنباء عن توجه قوة جديدة من الشرطة لزيادة القبضة الأمنية في محيط الفيلا.. خاصةً مع أنباء عن تحطيم كاميرات المراقبة الخاصة بشوارع المنطقة في التصادمات بين جماعتي (الحرية) و (الإنسانية).

هذا وقد تزايدت المطالبات بنقل الدكتور وزوجته إلىٰ مكان إقامةٍ خاص.. وهو ما يفتح باب التشكيك من جديدٍ في مدىٰ إمكانية تدخل المكتب الأعلىٰ في قرار الدكتور وزوجته المُنتظر يوم ٢١.

* * *

صحيفة (الشهر التاسع) : منظمة (طفلي) تستحوذ علىٰ الطفل (أيمن) وتفصله عن والده - كتبت (رجاء سعيد) :

منذ إقرار قانون منع ختان الذكور منتصف هذا العام : ومنظمة (طفلي) تتابع باهتمامٍ أي بلاغٍ حول المُمارسات غير القانونية في حق

الأطفال.. مع تأكيدها تأجيل حقهم في اختيار الختان إلىٰ سن ١٨ سنة.. شرط أن يكون بإرادتهم الخاصة.. هذا وقد توجهت منظمة (طفلي) بالشكر إلىٰ الرائد (ساري سامي) لسرعة استجابته لبلاغ جارة الطفل (أيمن).. وذلك عندما توجهت علىٰ الفور قوةٌ من الشرطة إلىٰ المنزل مع مُمثل المنظمة للاستحواذ علىٰ الطفل.. حيث تم العثور عليه مختوناً بالفعل مع جده وجدته لأمه المتوفية.. في حين كان والده (ش. ر) في عمله كعامل توصيل شحن.



انكسار

أشارت الساعة إلىٰ العاشرة مساءً.. عندما انتهىٰ دكتور (ياسر) وزوجته من إلقاء كلمةٍ علىٰ جمهور المتابعين للبث المباشر لكاميرات المراقبة من داخل الفيلا.. حيث أعلنا عن عودتهما للاعتماد علىٰ بث الفيسبوك وقناة اليوتيوب الخاصة بهما من جديد.. وذلك بعدما تعذر خروجهما من الفيلا في الأيام الأخيرة لأي لقاءٍ إعلامي.. وأن احتقان الوضع بالخارج لا يشجعهما علىٰ المغامرة بالخروج في أي وقتٍ.. خصوصاً مع عدم رغبتهما في تدخل الشرطة إلىٰ هذا الحد في حياتهما.. حتىٰ لو كان بداعي حمايتهما.

كانت أكثر غرف الفيلا وصالوناتها مراقبة بالكاميرات ٢٤ ساعة لكشف أي خطرٍ أو تسلل.. لم يسلم من ذلك تقريباً إلا غرفة نومهما.. ودورات المياه والمطبخ.. وغرفتي الحارس والخادمة.

كانا يقضيان أوقاتهما بالمساهمة في بعض الأعمال الخيرية للأطفال اليتامىٰ.. خصوصاً مع تبرع دكتورة (نيفين) بكل أملاكها لأكثر من دارٍ لليتامىٰ.. وكذلك يقضيان أوقاتاً في المساعدة بالتنسيق والإعداد لبعض مُرافَعات المطالبين بإسقاط تشريعات الأطفال الأخيرة لإدارة (الحقوق والحريات).. وأحياناً يشاهدان بعض تسجيلات حوارتٍ سابقةٍ لكلٍ منهما في (نضاله الحقوقي).. والتي يعود بعضها إلىٰ فترة الجامعة.. ثم يتناقشان حولها بالرفض أو القبول

أو تصحيح الأفكار.. وقد يشاهدان فيلمـًا أو مسلسلاً أو مسرحية.

في هذا اليـوم.. وبعـد أن أخبـرا جمهورهمـا بـالعودة إلـىٰ الاعتمـاد علىٰ البـث المباشـر مـن الغـد.. تأبطـت دكتـورة (نيفـين) ذراع زوجهـا لتتوجه معه إلىٰ غرفة النوم..

وفي الداخل.. وبمجرد أن فـرد كـلٌّ منهمـا جسـده علىٰ الفـراش.. بدأت تنهال الدموع من عينيه!

دمـوعٌ حـارةٌ تكـاد تشـق جانـب وجهيهمـا شـقـًا كمـا تشـق الحِمـمُ المنسابةُ الأخاديد.. الأصعب: كـان وجـوب بقـاء البكـاء صـامتـًا.. إذ ليس من المُفترض أن يسمع بكاءهما أحد!

هـذا هـو وقـت المصـارحة اليـومي قبـل النـوم.. هـذا وقـت خلـع الأقنعة.. أقنعة الثبات وتخطي مصيبة موت (جنا).. بل انتحارها.

شيءٌ واحدٌ فقط يعطي ميزةً لمنع خروجهما من الفيلا.. وهو تقليل سـاعات تصـنعهما للضـحك والتبسـط أمـام الشاشـات وفـي الاستوديوهات ومع مَن لا يهمهم إلا المال وزيادة الإعلانات!

كان كلٌّ منهما نائمـًا علىٰ ظهره يبكي في عمقٍ دون نحيب..

يا له من انكسار!

حتىٰ صوت البكاء حُرما منه.. لا يريدان إثـارة القيـل والقـال حـول قرارهما العجيب.. الصمت أفضل.. وتعليق العيون والترقب لحالهما ولكل كلمةٍ تصدر منهما هو الهدف الأكبر.

لعل ذلك يمحو شيئـًا من جريمتهما في حق (جنا).

تقلبت دكتورة (نيفين) علىٰ جنبها الأيسر لتحتضن زوجها وهي تبكي.. شعر بحرارة دموعها علىٰ كتفه الأيمن وصدره.. لم يعد يتساءل من أين لها بهذه الدموع كل ليلة ؟! لقد اعتاد علىٰ ذلك.. خصوصـًا وأنه يفعل مثلها.. كانت دموعـًا ممزوجةً بصلاةٍ ودعاءٍ صامتين.. كانت ممزوجةً بالرغبة في الغفران.

لو لم يكن كلٌ منهما بجوار الآخر طيلة هذه الفترة منذ موت (جنا) لكان أصابه الجنون يقينـًا.. صوتها في كل مكانٍ عندما يخيم الصمت.. خيالها يطيف حولهما مع كل لفتة عين.

كان دكتور (ياسر) أكثر ألمـًا علىٰ فراقها من أمها.. في حين كان الألم الأكبر للدكتورة (نيفين) هو خزلانها لزوجها.. هو تضييعها لأمانته التي حمّلها إياها.. وإخلافها للوعد الذي وعدته به.

مئات.. بل آلاف الذكريات التي تتداعىٰ إلىٰ ذهن دكتور (ياسر) مع ابنته الصغيرة.. خاصةً في أعوامها الأولىٰ عندما كان أكثر تفرغـًا للعب معها والبقاء بجوارها.. كمّ ترك الذهاب إلىٰ العمل إذا بكت لخروجه.. خاصةً مع غياب أمها أغلب الأوقات في الجامعة والعيادة.

وعلىٰ قدر تنكره للتراث في تلك السنوات الأولىٰ من عمرها.. علىٰ قدر ما لمس معاني آيات سورة (يوسُف) ! حزن (يعقوب) ! لقد تذوق من كأس تلك المحبة الصافية لذوي القلوب البريئة.. لم يكن ثمت مبالغةٌ إذن في القصة ! لم يكن هناك مُبالغةٌ في إصابة الأب المُحب بالعمىٰ ! تمنىٰ الدكتور لو يعمىٰ سنوات عمره وتعود (جنا) !

لكنه حلمٌ بالمستحيل.

لقد طاف بتفكيره قصص الخيال العلمي التي عشقها في شبابه عن إعادة إحياء الموتىٰ بالعلم ! تارة بالكهرباء مثلما فعل (فرانكشتاين) ! وتارة باستنساخ الجينات مثل الأفلام الحديثة !

"كله هراء"..

هكذا صار يرد علىٰ نفسه.. وهكذا صار فكره أكثر واقعية.

شيءٌ واحدٌ فقط يمكنه التخفيف عنهما.. شيءٌ واحدٌ فقط يمكنه إعطاءه وزوجته شعوراً بالانتقام.. شيءٌ واحدٌ فقط يمكنه أن يُسعد (جنا) في مكانها الآن في عالم الأرواح..

إسقاط هذه المنظومة وكشف عوارها أمام الناس !

❊ ❊ ❊

(مجدي)

اقتربت سيارة دكتور (ياسر) من منزل صديقه منذ أيام الجامعة (مجدي) كما وصف له موقعه.. تذكر الدكتور جلساتهما معًا في بيته القديم عند والديه قبل أن يتزوج وينتقل إلىٰ هذا البيت الجديد.

كان (مجدي) شخصًا بذولاً للخير.. ذلك النوع الذي قد يعطيك ما عنده : حتىٰ ولو أضرّه ذلك ! كان العطاء خُلقًا أصيلاً في نفسه.. وربما لذلك كان يسبق تفكيره.. إذ لو فكر قليلاً في أمره : لم يكن ليبذل الخير في كل موقفٍ.. أو هكذا فكّر دكتور (ياسر).

كثيرٌ من السلام والتحيات..

كثيرٌ من السؤال عن الأحوال منذ آخر مرة كانا فيها معًا..

قليلٌ من التفصيل بخصوص السبب الحقيقي للزيارة !

كان هذا ملخص مكالمتهما معًا منذ يومين.

***

في البيت.. مضت لحظات الضيافة لتعيد معها زمانًا برائحة الجود والكرم.. كان والدا (مجدي) مثالاً مثله علىٰ العطاء.. بل هما الأصل.

أخذ كل منهما يحكي موقفين أو ثلاثة منذ أيام الدراسة في الجامعة.. كانا كلاهما متفوق ودكتور (رأفت) ثالثهما.. غير أنهما كانا مختلفين في التفكير.. كان (مجدي) كثير التذمر والاعتراض علىٰ المناهج والقوانين.. رغم أنه كان يحوز تقدير الإمتياز في أغلب

المواد الخاصة بها.. ولعله لذلك لم يكمل العمل في مجال تخرجه كمحامي.. لم يمكث غير عامين ثم افتتح مشروعه الخاص لبيع بعض المنتجات بالجملة.. وهو ما حقق له الكفاية إلىٰ اليوم.. مع بساطة الحال كما يبدو من تواضع الأثاث والبيت.

بعكس دكتور (ياسر).. والذي اندمج أكثر مع المناهج والقوانين.. اندمج إلىٰ حد التقمص.. وكأنه هو المشرع الذي يضعها.. ثم زاد في التقمص وكأنه الجهبز الذي يقف علىٰ ثغراتها ويلتف حولها.. ولم تمض سنوات علىٰ إنجازاته الأكاديمية في مجاله ونيله للدكتوراه : حتىٰ وصل إلىٰ مرحلة التشريع والمساهمة فيه بالفعل علىٰ رأس فريق عمل إدارة (الحقوق والحريات).. كل ذلك تطرق إليه الاثنان.. لم يبدُ أن أحدهما قد تغير عما تركه صديقه آخر مرةٍ منذ سنواتٍ طويلة..

الفارق بينهما كان في نظرات وملامح الرضا.. حيث تملأ تلك الملامح وجه (مجدي) بما عليه حياته الآن.. في حين تبدو علىٰ ملامح دكتور (ياسر) بعض علامات الحيرة والقلق.

لم تخف هذه الملامح بالطبع علىٰ (مجدي).. فبجانب كونه صديقه لسنوات.. فقد كان خبيراً في النفس البشرية.. هكذا علّمته قراءاته الكثيرة وتعاملاته وخبرته في الحياة.. لكنه فضَّل عدم إحراج ضيفه علىٰ كل حال.. حتىٰ يكون هو البادئ بعرض مسألته..

صمت دكتور (ياسر) للحظاتٍ وهو يفكر في كيفية بدء كلامه مع (مجدي) دون أن يحرج نفسه.. أو أن يظهر بمظهر ضعيف الرأي

المحتاج.. حينها.. سمعا طرقـًا علىٰ باب غرفة الصالون الذي يجلسان فيه.. كانت طرقات بيدٍ صغيرة.. يدٌ تماثل يد ابنته (جنا) إن صح ظنه.. ثم ما لبثا أن سمعا صوتـًا أنثويـًا.. ثم انتهت الطرقات.

ضحك (مجدي) قائلاً :

"هذه ابنتي الصغرىٰ (ليلىٰ) التي أخبرتك عنها.. لا تنفك تطاردني طيلة وجودي بالمنزل.. جزاها الله خيراً أمها.. رغم انشغالها بأعمال البيت ومع أخويها : إلا أنها تتواجد دومـًا بجانبي وقت الحاجة".

بادله دكتور (ياسر) الضحك وشعر وكأنه وجد مفتاحـًا للكلام :

"أعتقد أنها في مثل عمر (جنا).. أيضـًا هي لا تتركني طيلة وجودي في الفيلا.. أتذكر في صغرها كانت تطاردني حتىٰ إلىٰ دورة المياه ! لكن بالفعل كما قلتَ : مَن لم ينجب البنات لم يذق حلاوة الأبوة.. وبهذه المناسبة (مجدي).. وكوني مهتمٌ بملف قوانين الطفل خصوصـًا : أريد أن أحكي لك شيئـًا.. شيئـًا هامـًا أريد رأيك فيه.. أنا أخبرتك منذ قليل إلىٰ أين وصلتُ في مكانتي التشريعية.. لكن ربما لانقطاعك عن الإعلام كما عهدتك : لا تعلم بوظيفتي الآن.. أو بالمهام المُلقاة علىٰ عاتقي وأشترك في إنجازها.. والذي أقصده هنا عملي بإدارة (الحقوق والحريات).. وأرجو ألا يسبب ذلك لك صدمة".

سكت دكتور (ياسر) قليلاً لينظر ردة فعل (مجدي) علىٰ كلامه حتىٰ الآن.. لكن يبدو أن ملامحه لم تتغير.. بل قال في هدوء :

"أكمل يا (ياسر).. قد أكون مُقاطِعـاً لمشاهدة الإعلام بالفعل.. لكني أتابع ما أحتاج إلىٰ متابعته من أخبار البلد".

ظهرت بعض ملامح الحيرة علىٰ وجه دكتور (ياسر) وهو يقول :

"يعني أنت تعرف ما نقوم به حالياً وما نعده من نقاشات ومسودات قوانين ؟ هل لا يمثل ذلك لك شيئاً ؟ اعتقدت لوهلةٍ أنك لو عرفت ذلك قبل أن آتي إلىٰ بيتك : ما كنت سمحت لي ! لقد تغيرت قليلاً يا (مجدي) فيما يبدو" !

ابتسم (مجدي) بنفس الهدوء وهو يمد يده ليتناول كأساً من العصير ويقدمها إلىٰ الدكتور قائلاً :

"أنت تسألني : هل لا يمثل ذلك لي شيئاً ؟ وأنا أسألك يا (ياسر) : وهل لا يمثل ذلك لك شيئاً ؟ وهل بيدك شيء" ؟!

كان سؤالاً مفاجئاً لم يتوقع دكتور (ياسر) أن يأتي بهذه السرعة.. وهو الذي فكَّر كثيراً في كيفية الوصول إلىٰ هذه النقطة !

رشف الدكتور رشفةً من العصير ثم سأل صديقه في استدراج :

"قل لي يا (مجدي).. ماذا تعرف عن سير العمل داخل أروقة إدارة (الحقوق والحريات).. وأرجو ألا تستهن بذكائي.. أريد رأيك صراحةً دون تشتيتٍ أو تمويه.. واضح أنك فهمتني مبكراً".

اتسعت ابتسامة (مجدي) وهو يقول في ثباتٍ وهدوء :

"كما تريد يا صديقي.. سآتيك بما لدي مباشرةً كما هي عادتي معك ومع غيرك كما تعرفني.. الذي أظنه – واعذرني – أنك وغيرك

مجرد (واجهة) لتمرير ما تم اتخاذ قرار فرضه علىٰ المجتمع بالفعل !

أنت وغيرك (كومبارس) – واعذرني في الوصف – لتضفوا علىٰ الإجراءات نكهةَ الشرعية ! (كومبارس) لتصنعوا زخماً إعلامياً بحديثكم عن اللقاءات والجلسات النقاشية والمسودات.. في حين لو اجتمعتم كلكم علىٰ معارضة تشريعٍ واحدٍ من حزمة ما أعلنتم عنه : فلن تستطيعوا منعه" !

كانت إجابةً صادمة !

كان يشعر دكتور (ياسر) بالكثير من الصدق فيها بما يراه داخل الإدارة.. لكن أن تقال له بهذا الوضوح وهذه الجرأة.. فهي تحمل في طياتها إهانة.. وأي إهانة ! (واجهة).. (كومبارس) ! قال في توتر :

"وما الذي جعلك تتحدث بكل هذه الثقة (مجدي) ؟ ألا يوجد احتمالٌ ولو ضئيلٌ لخطئك ؟ أو علىٰ الأقل بنسبة خطأ بجانب بعض الصواب" ؟

"أو كثير الصواب ! لا فرق.. لا تشغل بالك (ياسر)"..

قالها (مجدي) في هدوئه الذي بات مستفزاً في أعين دكتور (ياسر).. توقع أن يُنهي (مجدي) كلامه بسؤاله :

"ما الذي أتىٰ بك إلىٰ هنا (ياسر)" ؟ لكنه لم يفعل...

لم يعتد (ياسر) علىٰ إهانته بهذه الصورة المباشرة.. خاصةً من صديقٍ سابقٍ في الجامعة : قد تفوق هو عليه الآن بمراحل ليصير مُشرعاً من الدرجة الأولىٰ.. شخصاً بيده راحة أو شقاء الملايين !

تذكر صديقه دكتور (رأفت).. كان دومـًا يُسمِعه مـا يريـد سـماعه.. كانا متفاهمين دومـًا.. وبنفس الأفكار.

لم تستطع نفسه الانكسار لـ (مجدي) في تلك اللحظة للأسف.

نسي أهمية ما كان أتىٰ إليه..

نسي السؤال عن فعل الصواب.. لا من أجله.. بل من أجل (جنا) !

نسي كل ذلك وتجسـدت أمـام عينيـه تلـك المفارقـة الكئيبـة.. بـين دكتورٍ حاز أعلىٰ الدرجات.. يواجهـه شـخصٌ اكتفـىٰ بشـهادة تخرجـه الجامعية.. ويصفه الآن بأنه (واجهة) و (كومبارس) !

"ألـم تطلـب أنـت منـه أن يقـول رأيـه باختصـارٍ دون أي تشـتيتٍ أو تمويه ؟ وها قد فعل ؟ فلماذا الغيظ والحنق إذن" ؟!

قالها في نفسه.. لكنها لم تكـن كافيـة لتسـكين كبريائـه.. طلـب مـن (مجـدي) الانصـراف لموعـدٍ بعـد قليـل.. حيـث أنـه اكتفـىٰ برؤيتـه والتسليم عليـه ومعرفـة بيتـه.. قـام (مجـدي) بكـل هـدوءٍ ليوصـله إلـىٰ الباب ولم يتخل عن ابتسامته.. فقط عبارةً واحـدةً قالهـا لـه وهـو علـىٰ وشك الذهاب :

"تذكر يا (ياسر).. (تنفيذ) القانون قد يقوم به أي أحـد.. حتـىٰ ولـو لم يكن أبـًا.. أما (تشريع) القـانون فـلا يجـب أن يقـوم بـه إلا ذو خبـرةٍ وتجريب.. لا يجب أن يقوم به إلا مَن ذاق الأبوة" !

***

مَن يُحبه أكثر ؟

بدأ كلٌّ من دكتور (ياسر) ودكتورة (نيفين) في إجراء العديد من اللقاءات والكلمات عبر البث المباشر في الفيسبوك وعبر قناتهم الخاصة علىٰ اليوتيوب.. كانا أحيانًا يتحدثان معًا في قضيةٍ من القضايا.. وأحيانًا منفردين.. وأحيانًا أخرىٰ يُجرون لقاءات بثٍ مشتركةٍ مع غيرهم ونشرها.

تنوعت القضايا.. لكن أغلبها تم نقاشه من الناحية التنظيرية.. القليل منها الذي تعلق بقضايا حقيقية علىٰ الساحة.. كان منها قضية الطفل (أيمن) وفصله عن أبيه بسبب ختانه له.. كانت الأمور تجري مستقرةٌ في التستر عليه.. إلىٰ أن أبلغت عنه إحدىٰ جاراته.. فاستحوذت عليه منظمة (طفلي) بالقوة.. وتم إلقاء القبض علىٰ الطاقم الطبي الذي قام بالختان سراً بغير ترخيص.. كما تم إلقاء القبض علىٰ الأب (شريف رجب).. ولم يتم إطلاق سراحه إلا بدفع الغرامة المستحقة حسب التشريعات الأخيرة.

أما بالنسبة للدكتور (ياسر).. فقد كان ظهور ذلك الرجل (عامل التوصيل في شركة شحن) : علامةً فارقةً لتثبيته علىٰ الطريق الذي اتخذه هو والدكتورة (نيفين) ! ولم يصدق نفسه وهو يسمع ويقرأ قصته في الأخبار : هل يمكن أن يكون هو بالفعل ؟!

تأثر دكتور (ياسر) كثيراً بقضية الرجل.. كونه تعرض لموقفٍ

مشابهٍ وقت فصله عن ابنته.. فقرر أن يكون هذا الموضوع هو موضوع كلمته في البث المباشر مساءً بلا تأخير..

"أهلا بكم جميعـًا في لقائنا الليلـة.. طالعتنـا الأخبـار اليـوم بقضيـة الطفل (أيمن).. ولي تعليقٌ هامٌ عليها.. لعلي أبدأه بهذا السؤال :

مَن يحبه أكثر ؟ مَـن يريـد مصـلحته ويخـاف عليـه أكثـر ؟ أبـوه ؟ أم منظمة (طفلي) وسائر المنظمات الرسُمية ؟

ولاحظوا هنا أننا لا نتحدث مثلاً عن شيءٍ جديدٍ لا يعلمـه الآبـاء.. لا نتحـدث عـن تطعيمٍ يجهـل فائدتَـه الأبُ أو الأم.. بـل نتحـدث عـن ختـانٍ أجـراه البشـر لآلاف السـنين علـىٰ أبنـائهم الـذكور دون أيـة إشكالات ! بل علىٰ العكس.. مثبوتٌ طبيـًا فائدته الصحية الكبيرة في وقاية الأطفال والذكور بشكل عامٍ.. ومن بعض الأمراض المستعصية كالإيدز بشكلٍ خاصٍ باعتراف منظمة الصحة العالمية نفسها !

أمـا الحـوادث الفرديـة التـي كانـت تقـع أثنـاء بعـض العمليـات : فلتقولـوا لـي : مـا العمليـة الجراحيـة التـي لا يقـع فيهـا أخطـاء ؟ حتـىٰ عملية استئصال اللوزتين تقع فيهـا أخطـاء (خاصـةً في التخـدير) وقـد تؤدي إلىٰ الوفاة ! هذا وهي من أسهل العمليات الجراحيـة ! فمـا بالنـا بغيرها من العمليات الأصعب ؟! والسؤال :

هل رأيتم أحداً عاقلاً طالـب بمنـع عمليـات استئصـال اللـوزتين أو غيرها من باقي العمليات الجراحية : بسبب الأخطاء أو المـوت الـذي يقـع فيهـا ؟! أم يكـون التصـرف المنطقـي هـو محاسـبة المخطـيء

وتعويض المتضرر" ؟!

سكت دكتور (ياسر) قليلاً وهو يشعر أنه نجح في سد هذه الثغرة من الاعتراضات علىٰ ختان الذكور.. لكنه - كعادته مؤخراً - لم تعد تكفيه هذه النجاحات المحدودة ! فانطلق يُكمل في حماس :

"والحقيقة أن ملف الطفولة مع المنظمات الحقوقية ملفٌ عجيب.. ملفٌ قد يُعجبك من الخارج.. لكنك ستندهش من تناقضاته عند التدقيق ! يعني مثلاً : في هذه الحالات هنا تجدهم يَحجُرون علىٰ الأب أو الأم اختيار شيءٍ للطفل.. وإجبارهم علىٰ تركه وتأجيله إلىٰ سن ١٨ سنة ليقرر الطفل فيه بنفسه.. وأما حُجتهم في ذلك فهي : (ترك طبيعته وجسمه) كما وُلد به : بلا تغيير.... حسنًا.. جميل..

لكن تعالوا ننظر معًا في تشريعاتهم الأخيرة للدفاع عن (عبث) الأب أو الأم في الهوية الجنسية لأطفالهم الصغار ! هل تتذكرون تلك القضية منذ سنواتٍ للأم التي قاضاها زوجها لإصرارها علىٰ معاملة ابنها ذي الخمسة أعوام معاملة الفتاة ؟! فكانت تحدثه كفتاة.. وتلاعبه بألعاب الفتيات.. إلىٰ أن وصل بها الحال أن تلبسه كالفتيات وتستخدم معه أدوات التجميل والمكياج ! مما أثار جنون الأب وقتها... ولكن... لم يعلم المسكين أن قضيته كانت الانطلاقة الأولىٰ لنصرة حق تغيير الهوية الجنسية للأطفال ! والسؤال : لماذا لم يستخدموا نفس المنطق الذي استخدموه في منع الختان ؟! لماذا لم يُقال : اتركوا الأطفال (علىٰ طبيعتهم الجنسية من ذكر أو أنثىٰ) كما

وُلدوا بها ؟! هل فاتنا شيءٌ هنا ؟!

بل انظروا إلىٰ المأساة بإتاحة عمليات التحويل الجنسي للأطفال بالفعل في هذه السن المبكرة ! هذا السن حيث يسهل خداعهم ؟ فهلّا انتظرتم حتىٰ بلوغهم ١٨ سنة ؟!

أليس هذا عين العبث والتلاعب بالقوانين ؟! إلىٰ أي مصلحةٍ يهدف هؤلاء ؟! ما نقطة انطلاقهم ؟ أين مرجعيتهم (الثابتة) التي يتحاكمون إليها دون تغيير حتىٰ ولو كانت خاطئة ؟!

دعوني أخبركم.. حتىٰ التراث الذي طالما هاجمناه أعواماً كثيرة واتهمناه بالجمود : كان له من الثبات ما نتمنىٰ عُشر معشاره اليوم مع قوانيننا التي فُرضت علينا للأسف.. نعم أقولها بكل وضوح : (فُرضت علينا).. فُرضت عليَّ أنا علىٰ الأقل.. لا يُشكّك أحدٌ في عملي وإخلاصي لسنواتٍ من أجل إقرار مباديء عادلة للـ (حقوق والحريات) في بلدنا.. لكني كنت أعارض علىٰ طول الخط كل تشريعات الأطفال الخاصة بالجنس وتعليمه وبالهوية والجندر.

نعم.. أعترف بأني ربما أكون أخطأت في تشريعاتٍ أخرىٰ.. لكن وكما نقول دوماً : حتىٰ الخطأ في تشريعات الكبار مجبور.. لأنهم علىٰ الأقل كباراً يملكون الرأي ويملكون أن يفعلوا أو لا يفعلوا.. لكن ما ذنب الأطفال الصغيرة في التلاعب بهم ؟ ما ذنبهم وبهذه الصور التي تتأرجح بين التلاعب بحياتهم في الإجهاض.. إلىٰ التلاعب بهويتهم الجنسية في الجندر وعمليات تحويل الجنس..

وانتهاءً بتشويه نشأتهم وحياتهم بقوانين تأجير الأرحام.. وشراء الحيوانات المنوية.. والتبني للشاذين جنسياً" !

سكت قليلاً ليترك للمشاهد فرصةً للاستيعاب وللتعايش عقلياً وعاطفياً مع تلك الفواجع ثم قال :

"مَن الذي سيحمل ذنب هؤلاء ؟ مَن سيكون عليهم مقاضاته إذا كبروا وصارت رؤيتهم لمأساتهم أكثر ألماً وعمقاً ؟! مَن الذي سيعوضهم عن سنوات الحرمان من طفولتهم ؟ سنوات الحرمان من أبٍ أو أم ؟ مَن الذي سيعوضهم عن هويتهم الجنسية التي فقدوا العيش بها أو تحولت كلياً بعمليةٍ جراحية ! هل سيعودون مرةً أخرىٰ إلىٰ حقيقتهم ؟! مَن سيتكفل بكل هذه الآلام والتغيرات التي قد لا تنعكس ؟ وتعويض ما تم حرمانهم منه" ؟

سكت دكتور (ياسر) مكتفياً بما أنجزه من إبرازٍ للجرائم في حق الأطفال باسم إدارة (الحقوق والحريات) والتشريعات الجديدة..

ثم ختم كلامه أخيراً بقوله :

"وفي نهاية هذا اللقاء.. أدعو كل القوىٰ المؤثرة والحقوقية العادلة إلىٰ السعي في إعادة النظر في هذه القوانين.. وإلىٰ القضاء علىٰ الفصل الظالم والمتعسف بين الأبناء والآباء..

وأن يطالبوا بتوضيحاتٍ نهائيةٍ من المكتب الأعلىٰ : هل تتضمن تشريعاتهم الجديدة التناقضات الصارخة كما رأينا ؟ وهل يمكن التغيير في تلك التشريعات علىٰ أنها اجتهادات وأخطأت ؟ أم أن

قوانين الحقوق والحريات لا استثناء فيها ولا تبديل ؟

وأنا معكم من المنتظرين لقرار القضاء أيضـًا فـي قضـيتنا.. والـذي سيوضح لنا جميعـًا : هل هنـاك خطـأ حقـًا فـي التشـريعات ؟ أم أنـه لا سقف للحريات بالفعل مهما خالطتها مآسي وآلام البعض" ؟!

***

وداعاً أبي....

وقفت (علياء) أمام مُشرفة الدور الثالث بدار الإيواء المركزية التابعة لمنظمة (طفلي).. رفعت يديها عالياً لتتفقدها المُشرفة سريعاً بتفتيش ملابسها.. ثم أنزلت يدها ورفعت غطاء الرأس الخاص بها لتنظر المشرفة فيه وتحته.... لا يوجد شيء..

نظرت نظرةً سريعةً أيضاً بصورة روتينية علىٰ عربة الطعام التي معها.. وقامت بفتح عدد من علب الطعام عشوائياً لتنظر فيها..

لا يوجد شيء كذلك..... "تفضلي"...

قالتها المرأة ببرود مَن اعتاد علىٰ هذا الفعل ثلاث مراتٍ يومياً..

سارت (علياء) وهي تدفع العربة في ممرٍ واسع.. كانت تطرق باب كل غرفةٍ يميناً ويساراً.. بعض الأطفال كان في غرفته.. البعض الآخر خارجها.. إما في استراحة الجلوس.. وإما في صالة الألعاب.. حيث لم يكونوا جميعاً نادمين أو حزانىٰ علىٰ انفصالهم عن آبائهم !

اقتربت بعربتها من غرفة (جنا).. وفي الغرفة التي قبلها مباشرةً سألت عنها : "كيف حالها الآن يا بنات" ؟

"لا زالت منهارة من البكاء أبلة (عليا).. إننا نخاف عليها".

كانت تتمنىٰ (علياء) سماع إجابةٍ أخرىٰ غير هذه.. قلبها مقبوضٌ منذ الأمس علىٰ هذه المسكينة.. لقد سمعت في حياتها من قبل أوصافاً لضحايا الحزن والبكاء مثل قولهم عن شخصٍ ما : "إنه

يذبل".. أو : "لقد قارب علىٰ الموت".. لكنها لم تشاهد له تجسيداً مثل هذه الطفلة منذ رأتها من يومين.. لقد استمر بكاؤها واصفر وجهها بما لا طاقة لطفلةٍ صغيرةٍ بمثله !

سمعت من زميلاتها في المأوىٰ أنها لها أيامٌ تبكي تريد العودة إلىٰ والدها.. أو أن تقابله هنا.. لكن طلبها قوبل بالرفض حسب سياسات المنظمة من ضرورة تشكيل لجنة استماعٍ أولاً للوالدين.. ثم إذا تم التأكد من تغيير مواقفهما وأفكارهما تجاه ابنتيهما وأخذ تعهدٍ عليهما بعدم التعرض لها : سوف يتم لها ذلك.

لكن الأمر يستغرق في العادة من أسبوعٍ إلىٰ أسبوعين..

ويبدو أن المسكينة لم تعد تملك إلا البكاء.. وبما لا يُبشر بانقضاء الأسبوعين حتىٰ تموت ! ولم تفلح جلسات المختصين معها.

طرقت الباب علىٰ (جنا).. لم يفتح أحد كعادتها عندما تتركها رفيقاتها بمفردها.. إذ لا تكاد تقوىٰ علىٰ القيام من الفراش..

دفعت (علياء) الباب برفق ثم تناولت ٣ من علب الطعام وضعتها بالداخل.. ثم جلست علىٰ طرف الفراش وهي تنظر إلىٰ هذا الجسد الهزيل لصاحبة الـ ١١ سنة.. والتي تحمل جنيناً في أحشائها !

كاد قلبها أن ينخلع وهي ترىٰ علو صدر (جنا) وانخفاضه ببطء.. كانت لا تزال تبكي.. لكن بلا صوتٍ للأسف.. أو كما يبدو : لم يعد في إمكانها ولا في طاقتها أن تبكي بصوت.

"اصبري يا (جنا).. ستمر الأيام سريعـًا.. وتعودين إلىٰ والديك بلا

خوف.. اصبري واتركي البكاء.. هكذا تؤذين نفسك".

قالتها (علياء) وهي تربت علىٰ كتفها بيدها في حنانٍ لم تتمالك دموعها من أن تصاحبه.

خرجت في حزنٍ بعد أن أدت مهمتها.. فكرت لو تخبئ هاتفاً صغيراً في شعر رأسها ؟ أو تفتح له فتحةً في طيات ملابسها ثم تغلقها بالخياطة ! أو حتىٰ تضعه في إحدىٰ علب الطعام في مغامرةٍ مع احتمالات الكشف من المشرفة.. لكنها لم تستطع.. إذ لو فعلت : لكشفتها كاميرات المراقبة في غرف الأطفال..

كانت تتمنىٰ لو تتحدث (جنا) مع والديها ولو لدقيقةٍ واحدة !

لكن.. هل كانت تتمنىٰ (جنا) ذلك بالفعل ؟!

لقد كانت تعاني المسكينة أقصىٰ مشاعر الحيرة النفسية والاضطراب.. جلسات المختصين النفسيين معها لم تستطع أن تفعل لها شيئاً.. لقد وصل بهم الحال إلىٰ التوصية : بضرورة التعامل السريع مع حالتها لاقترابها من اكتئابٍ حاد.. لكن هل من مُجيب ؟!

كانت (جنا) تفكر أحياناً في أن أبيها شديد الحنق عليها الآن.. شديد الغضب عليها.. ومن أجلها.. بل وربما شديد الغيرة.. لأول مرةٍ في حياتها تراه بهذا الشكل وبهذه الشتائم القاسية التي سمعتها منه في حق (ساري) الذي يكبرها بخمس سنوات.. لقد قفزت من شدة خوفها تحتمي بأمها.. فإذا بها تعالجها بصفعةٍ علىٰ وجهها.. مما جعلها تركض إلىٰ غرفتها لتغلقها علىٰ نفسها في سرعة..

لقد كاد الباب أن يتهاوىٰ تحت طرقات أبيها وتهديداته بكسره إن لم تفتحه.. لحظاتٍ عصيبةٍ تلك التي مرت بها في تلك الليلة عندما صارحتهما بحملها من (ساري) !

ولولا تدخل الحارس والخادمة لمنع أبيها : لكسر الباب.. لم تطمئن (جنا) إلا بعد سماع صوت أمها وهي تجذبه بعيداً :

"(ياسر).. لنأخذ بعض الوقت لنفكر في هذه المصيبة بالعقل.. هل تريد أن تقتلها" ؟!

هذه كانت آخر عبارةٍ سمعتها خارج غرفتها قبل أن تتصل علىٰ الرقم المباشر لبلاغات منظمة (طفلي).

لن يمكنها أن تنسىٰ نظرات أبيها إليها وهي في حماية قوة الشرطة وممثل المنظمة وهم يأخذونها في السيارة.. كان أشبه بالمنهار.. لم يتكلم بكلمة.. لكن حملت نظراته إليها كل كلمة !

حملت نظراته سنواتٍ من ذكرياتهما معـًا.. سنواتٍ من اللعب والفرح.. سنواتٍ من التقارب قبلما ضيعته سعة الفيلا الكبيرة وانغماسه وأمها في عملهما بعيداً عنها.

مَن قال أن إعطاء النصائح وحده يكفي ؟ افعلي كذا.. احذري كذا.. لا تقتربي من كذا.. أين الاحتواء والتوجيه بالفعل لا بالقول ؟! أين المتابعة.. نعم.. تعلم (جنا) بداخلها أنها أخطأت خطأً فادحـًا لا تتخيل إلىٰ الآن كيفية إصلاحه ولا كيف ستمر بعملية الإجهاض !

لكنها علىٰ يقينٍ من أن أباها وأمها يشتركان بالنصيب الأكبر في

الخطأ ذاته.. حتىٰ أمها : لم تكن بجوارها مع أول علامات البلوغ لتساعدها وتوجهها مثلما كانت تسمع عن الأمهات.. كانت (سُمية) – الخادمة ! – و (جوجل) هما مرشداها الحقيقيين في تلك الأيام !

كانت أمها تعطيها المعلومات كأنما تعطيها إلىٰ فصلٍ جامعيٍ من الفصول التي تُدَرِّسُ لها في الجامعة.

أما أبوها.. فكم تحسرت علىٰ سنواتها الأولىٰ معه.. وكم تحسرت علىٰ ابتعاده عنها وابتعادها عنه في الفترات الأخيرة.

عند هذه النقطة من التفكير.. اعتدلت (جنا) لتجلس علىٰ فراشها وهي تمسك بيدها.. تذكرت من بين مئات الفيديوهات التي سجلها لها في صغرها ذلك الفيديو الذي قال فيه :

"ربتي علىٰ كتف بابا (جنا)".. ثم وهي تربت علىٰ كتفه يقول :

"لم يُربت علىٰ كتفي أحدٌ بحنانٍ صادقٍ مثل هذا غير أمي" !

ثم يحتضنها بيد ولا زالت الأخرىٰ ترفع الهاتف بالتصوير.

لقد كانت – في يومٍ من الأيام – تشعر بأنها أعظم شيءٍ في حياته.. وربما لا زالت كذلك.. لكنها لم تعد تشعر به !

وهنا.. تذكرت أيضاً ذلك الفيديو وهي صغيرةٌ تلعب في صالة البيت القديم الذي لا تتذكره إلا من تلك المقاطع – كم اشتاقت إليه بما حمله من ذكريات ! – .. كانت تحاول تذوق بعض الفواكه البلاستيكية بلسانها وتقضم البعض الآخر بأسنانها.. وقد صاحب التصوير كلام أبيها الذي وقر في قلبها منذ عقلته :

"تعرفين يا (نيفين).. أحياناً أريد أن يتوقف الزمن وأنا معها.. صدقيني هذه ليست مبالغة.. أشعر وكأني بلغت السعادة التامة التي يبحث عنها أي إنسان.. طفلة بريئة تجري وتلعب وتضحك معي بلا أية تعقيدات أو مشاكل أو هموم أو صراعات" !

لقد كان يتحدث عنها.. لكنها لا تدري الآن : ماذا سيقول إذا رأها أو رأته ؟ لكم ودت لو ارتمت في أحضانه دون كلام.. دون عتاب.. فقط تفضي كل ما لديها في صدره.. ذلك الصدر الذي غاب عنها احتوائُه لسنوات ! ولتسكب فيه ساعتها البقية الباقية من دموعها لتتوقف إلىٰ الأبد.. كم تمنت أن تعود صغيرةً كما كانت.

لكن كل ذلك لم يعد بيدها الآن.. لا يمكنها العودة صغيرة.. حتىٰ هو – أكثر مَن أحبته في حياتها – لم يعد بإمكانها رؤيته اليوم !

ساعتها.... أظلمت الدنيا من حولها.

لم يعد بيدها مخرجٌ بعد أن تحطم كل شيءٍ جميلٍ في حياتها.

حتىٰ العلاقة العابرة مع (ساري) اشمأزت منها.. كيف كانت بهذه السذاجة لتجرب عملياً ما درسته لسنواتٍ رغم كل التحذيرات ؟!

قامت من فراشها في عزمٍ تَغَلَّبَ علىٰ الوهن.. وقد قررت قرارها الأخير للأسف.........

"وداعاً أبي" !

***

عبث الهوية

وقفت دكتورة (نيفين) في المطبخ تعد لنفسها فنجاناً من القهوة.. كانت (سُمية) تتحرك بجوارها لتتابع أكثر من شيء.. من غسالة الأطباق إلىٰ غسالة الملابس.. إلىٰ ترتيب بعض الأدوات.

وذلك عندما انفجرت فجأةً في البكاء !

"مرةً ثانيةً يا (سُمية) ؟! تبكين من جديد" ؟!

قالتها دكتورة (نيفين) دون أن تلتفت إليها لتثبت لها أن الأمر لا يستحق البكاء.. لا يستحق كل هذا.. فقالت (سُمية) :

"إذن اسمحي لي دكتورة بأن أسافر إلىٰ البلد.. لن يفرق وجودي هذا الأسبوع الباقي من عدمه.. وكل طلبات الخضار والفاكهة صارت تأتينا بالاتصال من الخارج.. عمّ (عيد) يمكنه أن يستلمها بدلاً مني.. وأنت يمكنك عمل الطعام بها خصوصاً مع بقائك هذه الفترة دوماً في الفيلا.. صدقيني.. كلما اقترب ذلك اليوم وأفكر فيه وفي كل ذكرياتي هنا : ترتعد فرائصي وأتساءل : كيف سأتحمل العيش معكم إلىٰ هذا اليوم ؟ كيف ؟ لا أتخيل هذا" !

صمتت دكتورة (نيفين) للحظاتٍ وهي تواصل كتمان مشاعرها وتتظاهر بالصلابة وعدم الاكتراث :

"صدقيني (سُمية).. الأمر ليس كما تتخيلين.. هذا اختيار.. وسنتحمل عواقبه.. ولا تنسين أنهم أعلنوا عن أن الحُكم في قضيتنا

سيكون قبل يوم ٢١.. فعسىٰ يوجَد مخرج قبل كل هذا".

"وماذا لو حكموا بأنه يحق لكما ما تريدان ؟ هل ستتركين دكتور (ياسر) يقتلك ؟! أنا لا أتخيل هذا.. هذا جنون ! أحياناً أنظر إليكما وأشعر أن الأمر كله مزحة.. أن الأمر كله حلم.. وأحياناً لا أرىٰ في أفعالكما وكلامكا إلا الجد والنية السوداء ! حتىٰ أقاربي وأهلي وزوجي والأولاد في البلد عندما يسألونني عن الحقيقة : لا أستطيع الرد.. أقول لهم : مثلي مثلكم.. وهذا يدفعني إلىٰ الجنون..

لذلك إن كانت لي منزلة عندكِ : ائذني لي بالسفر.. علىٰ الأقل حتىٰ أتجنب الشرطة والتحقيقات وهذا التعب إذا ما وقع شيء" !

نظرت إليها دكتورة (نيفين) وهي ترشف رشفةً من القهوة :

"حسناً (سُمية).. سنسمح لك بالذهاب.. لكن في صباح يوم ٢١.. لا قبل ذلك ! لا نستغني عنك يا (سُمية).. اتفقنا" ؟!

قالتها دكتورة (نيفين) واستدارت بشكل تلقائي.. ودون أن تنتظر ردة فعل المرأة المسكينة التي عادت للبكاء من جديد !

أما هي.. فقد وصلت إلىٰ الصالون أمام كاميرا البث المباشر.. حيث جلست وفي يدها فنجان القهوة لتبدأ هذه الكلمة الجديدة لمَن يتابعونها وزوجها :

"أهلاً بكم من جديد.. الحقيقة كنت سأنام قليلاً.. لكني طالعت في الأخبار منذ قليلٍ خبر الشاب الذي قبضوا عليه في عربة النساء صباح اليوم.. ورأيت أنها فرصة لا تعوض لإثارة هذا الموضوع مرةً

أخرىٰ.. لكن بمثالٍ عملي اليوم.. إذ تخيلوا معي الوضع :

شابٌ استغل القانون والتشريعات الجديدة التي تبيح له تغيير هويته الجنسية أو (الجندر) كما نسميه : إلىٰ أنثىٰ.. وذلك في بطاقة هويته ومعاملاته حتىٰ بدون عملية تحول جسدي ! فقط : استيقظ صباح أحد الأيام ليذهب إلىٰ مكاتب تسجيل إدارة (الحقوق والحريات) ليقدم طلباً رسمياً بتحويله رسمياً إلىٰ أنثىٰ !

وتم قبول الطلب بالفعل مثله مثل العشرات غيره.. والسؤال :

هذا الذكر (الأنثىٰ) : هل يستحق أن يستقل العربات المخصصة للنساء رسمياً أم لا ؟!

فإن قلتم نعم يستقلها لأنه (رسمياً) أنثىٰ : فلماذا قبضتم عليه ؟!

وإن قلتم لا يركب عربات النساء : فلماذا تحرمونه من حقه القانوني الذي سعىٰ إليه وأعطيتموه إياه فصار (أنثىٰ) ؟!

لماذا إذن أعطيتموه هذا الحق في البطاقة ؟! استقروا علىٰ رأي.. هل قوانينكم تسري أم لا تسري ؟! هل هي قوانين حقيقية أم لها استثناءات ؟! ولماذا هذه الاستثناءات ؟!

وهل يمكن أن أكون أنا وزوجي استثناء من هذه الاستثناءات" ؟!

مالت الدكتورة إلىٰ الأمام قليلاً لترتشف عدة رشفاتٍ من كوب القهوة في هدوءٍ واسترخاءٍ.. قبل أن تعتدل من جديد قائلةً :

"كنا في الماضي نناضل لتسود النظرة العلمية في حياتنا.. ولنحتكم إليها في جميع أمورنا.. والعلم يخبرنا بأنه لا يوجد إلا ذكرٌ

وأنثىٰ.. أو خنثىٰ لديه خلل.. والسؤال : بأي حقٍ وبأي مستندٍ نصف ذكراً كامل الذكورة بأنه أنثىٰ بل : ونجبر المجتمع والكل رسمياً علىٰ التعامل معه وفق ذلك ؟! فهل هذا من العلم الذي آمنا به في شيء ؟! البشر لديهم أربع فصائل للدم A و B و AB و O.. فهل تتخيلون شخصاً فصيلة دمه B مثلاً ثم يطلب أن يُعامل قانونياً ورسمياً علىٰ أنه O ؟! أو علىٰ أنه شيءٌ جديدٌ ليس له وجود.. مثلاً C أو V ؟! هل نجد لهذا الوضع المزري أي سندٍ من العلم أو العقل أو القانون ؟ لماذا يبيحونه في (الجندر) إذن ؟

هذا عبثٌ لتضييع طبيعة وعقول شباب البلد وفتياتها.. ولتكون المحصلة النهائية رجالٌ لا يُعتمدُ عليهم.. ونساءٌ لا يُقمنَ بيتاً" !

صمتت دكتورة (نيفين) من جديد وهي ترتشف رشفةً من فنجان القهوة في هدوء.. ثم استطردت قائلة :

"وبمناسبة هذه الحالة.. فأود كذلك إثارة عدة أسئلة حول مكانة (كشف الهوية) في المجتمع ؟ لأننا رأينا مع التشريعات والقوانين والصدامات النقاشية في السنوات الأخيرة : ما يجعل من (كشف الهوية) ضرورة (أمنية) في المقام الأول لحفظ المجتمع.

فوجدنا لذلك تضييقاً علىٰ المنتقبات من أتباع التراث.. رغم أنه من حقهن وحريتهن أن يلبسن ما يردن : ولم يعترضن أصلاً علىٰ تعرضهن للكشف عن وجوههن إذا طُلب منهن ذلك في أي مكان..

لكن في المقابل :

عندما نرىٰ الاستهتار التام بما وصلت إليه آخر تقليعات الشباب اليوم.. من استخدام (باروكات) الشَعر وأدوات التجميل والمكياج لتغيير معالم وجوههم أو وجوههن ١٨٠ درجة.. أو كما نقول : إلىٰ أن يصبح الذكر أنثىٰ والأنثىٰ ذكراً : فهذا استهتارٌ تام بمبدأ (كشف الهوية) الذي تم اختياره رمزاً لـ (أمان المجتمع) !

أليس من الممكن أن يُغير مجرمٌ أو مجرمةٌ معالم الوجه هربــاً من الرصد ؟! هل تمتلكون أيَ حقٍ لمنعه من ذلك ؟! بل وإذا وقع المحظور بجريمةٍ هنا أو هناك بسبب هذا العبث بالهوية : هل سنطالع قوانينـاً لحظر استخدام (الباروكة) وأدوات التجميل والمكياج" ؟!

اكتفت دكتورة (نيفين) بهذا القدر من إثارة الأفكار والتنبيه علىٰ التناقضات كعادتها هي وزوجها مؤخراً.. فرشفت رشفةً قبل أن تقوم لتتوجه إلىٰ غرفة النوم وفي يدها فنجان القهوة لم يزل.



لقاءٌ مُترجم

كانت ليلةً مُرتقبةً تلك التي ينتظرها ملايين المثقفين حول العالم لمشاهدة الحوار الفكري بين البروفيسور (تامي ريكسون) والبروفيسور (جاك نيل).. وذلك في برنامج الإعلامي الشهير (كاردو مات) : (مايند أوفر)..

استمر الحوار إلىٰ قرابة الساعة مع بعض التوقفات الإعلانية.. كان نقاشاً فلسفياً وفكرياً دسماً من الطراز العالي.

بدأ الحوار من جانب بروفيسور (تامي) بحديثه عن نقاشٍ سابقٍ بينهما في نفس البرنامج منذ سنواتٍ بخصوص (أكل لحم البشر).. تلك الموضة الجديدة التي تم طرحها علىٰ ساحة النقاش الفلسفية مع إعلان بعض المفكرين الماديين والملاحدة أنهم لا يرون إشكالاً فيها.. فتساءل بروفيسور (تامي) : هل يمكن التسامح معها إذا كانت برضىٰ الشخص المأكول ؟ وإذا كانت بموافقته القانونية علىٰ أن تؤخذ منه شرائح أو قطع صغيرة بمقابل مادي أو بدون ؟!

حيث أشار بروفيسور (تامي) إلىٰ أن نفس المبدأ يظهر هنا من جديد في قضية (القتل بالتراضي) للدكتور (ياسر) وزوجته !

الاختلاف الوحيد اليوم هو خطر وصول (السلعة) المُباعة إلىٰ الحياة البشرية ذاتها.. وليس مجرد شرائح من اللحم البشري !

كان بروفيسور (تامي) يدافع عمّا يسميه (الكرامة الإنسانية).. تلك

الكرامة التي يُصنفها كقيمة (موضوعية) لا تغيير فيها حتىٰ لو أراد شخصٌ ما استرخاصها في نفسه أو في جسده !

لكنه لم يستطع للأسف الدفاع عن أفكاره في حوارهما السابق.. لم يجد أي مرجعيةٍ يحتج بها لصالح آرائه إلا إذا استسلم لإمكانية أن تكون هذه المرجعية هي مرجعيةٌ (عُليا).. مرجعيةٌ (فوق) البشر ليكون رأيها نافذاً خالفه مَن خالفه ووافقه مَن وافقه ! وهو ما لا يمكنه تقبله ولا إعلانه كونه مفكر مادي لاديني.

ومن هنا كان يدرك أن كل دفاعاته تتساقط أمام نسبية عقول البشر.. فما تستبشعه بعضها : تستحسنه الأخرىٰ ولو علىٰ نفسها !

ولذلك اهتم كثيراً بالحوار الجديد هذه المرة.. سيحاول جاهداً تعديل الكفة لصالحه أمام جمهوره ومتابعيه.. خاصةً والأمر يتعلق بالقتل وفقدان الحياة وليس مجرد تقطيع لحم.. مع استغلاله للتناقض الصارخ في آراء بروفيسور (جاك نيل).. والتي يتخلىٰ فيها عن سماحته مع جميع الأفكار – مهما كانت شاذة أو مؤلمة أو مهينة للإنسان – : في مقابل تشدده مع حريات العقيدة والأديان.. حتىٰ في شعائرهم التي لا تتسبب في أي ضررٍ لأحدٍ مثل الملابس والحجاب !

ساعتها فقط : يعلن تحاكمه إلىٰ (القوانين) دون نقاش !

فهو يرىٰ أن القوانين مُلزمةٌ لأنها تمثل (الترجيح) الوحيد – من وجهة نظره – بين اختلافات عقول البشر.

"معنىٰ ذلك بروفيسور أن القانون إذا أعلن غداً عن القبض علىٰ

كل مَن يبدأ اسمه بـ (جاك) مثلك : فعليك أن تمتثل ؟ بل وعلينا التنفيذ حتىٰ لو كان قانوناً مفروضاً بقوة السلاح ولا يمثل الأغلبية ؟ بل وقد تؤيد الأغلبية القبض علىٰ كل (جاك) بالفعل" ؟!

قالها بروفيسور (تامي) وهو سعيد باستدراج بروفيسور (جاك) إلىٰ هذا التناقض الذي يعرفه أصغر طالب في الفلسفة !

"نعم.. سأحكم ساعتها بتنفيذ القانون حتىٰ لو رفضتُه علىٰ الصعيد الشخصي أو قاومته.. فردة فعلي هنا ليست المعيار".

قالها بروفيسور (جاك) محاولاً التملص من إلزام مُحاوِره.

"إذن لماذا تعترض علىٰ الجماعات المتطرفة والحكومات الدينية إذا ما وضعت قوانينها الخاصة بها.. وطبقتها بالقوة علىٰ جماعاتها وشعوبها سواء وافق عليها أغلبهم أم لا" ؟!

لم يستطع بروفيسور (جاك نيل) الرد لأول مرةٍ في هذه الحلقة.. وقد ندم علىٰ وقوعه بهذه السرعة والسذاجة في هذا الفخ الشهير لإبراز التناقض الذاتي..

وهنا تدخل المذيع (كاردو مات) محاولاً استغلال هذه النقطة عن القوانين.. وبخبرته الأكاديمية السابقة في دراسة الفلسفة أيضاً فقال :

"هذا لو استبعدنا نقطةً أخرىٰ وهي التناقض في القوانين نفسها" !

التفت إليه الإثنان بنظرة استفسارٍ.. حينها استطرد موضحاً :

"بالأمس رأينا بثاً مباشراً للدكتورة (نيفين) من قضية (القتل بالتراضي) الشهيرة.. وكالعادة تمت ترجمته في نفس اليوم.. وقد

تَطرقَتْ فيه إلىٰ تناقض القوانين مع الهويات الشخصية والجندر.. أو ما يمكن وصفه بـ (عبث الهوية) ! فما رأيكما فيما قالته ؟ أعلم أنكما تتابعان هذه القضية يوماً بيوم.. ما رأيك بروفيسور (تامي)" ؟

كان البروفيسور مؤيداً لما أثارته دكتورة (نيفين) علىٰ طول الخط.. حيث تحدثَ بسخطٍ وسخريةٍ علىٰ الأحوال التي آلت إليها أكثر المجتمعات الغربية اليوم في أوروبا وأمريكا.. واستشهد بأسماء بعض مشاهير المكياج و(الميك أب) من قنوات اليوتيوب وغيرهم.. والذين يقومون في دقائق بتغيير كلي لمعالم الوجه والشخصية بل ولمعالم الذكورة والأنوثة ! مما يجعل من المستحيل التعرف علىٰ شخصياتهم في الشارع.. ولا حتىٰ بأحدث كاميرات المراقبة في التعرف علىٰ الوجوه ! وتساءل :

"ألا يمثل ذلك عبثاً بالفعل في وجه (الأمن المجتمعي) ؟! بل وأكرر نفس تساؤل دكتورة (نيفين) : هل نجرؤ حقاً علىٰ المطالبة بمنع استخدام أدوات التجميل و(الميك أب) خارج البيوت في الأماكن الخاصة والحكومية ؟! بل وربما العامة أيضاً لخطورته ؟!

أم أن التجارة التي تبلغ المليارات سنوياً لا تتهاون مع مثل هذه المغامرات المحكوم عليها بالفشل من قبل أن تبدأ" ؟!

سكت قليلاً وهو يتأمل الحيرة البادية علىٰ وجه مُحاوِره ثم قال :

"هذا يعود بنا إلىٰ تسليط الضوء علىٰ التناقض الذاتي حتىٰ في قوانين البلدة الواحدة بروفيسور (جاك).. لا أتحدث عن قوانين

بلـدتين مختلفتـين.. ولا شـعبين مختلفـين.. بـل قـوانين بلـدةٍ واحـدةٍ وشعبٍ واحد : لكنها ترفض وتبيح فـي نفس القضية الواحـدة ! فهـل يجوز عقلاً أن يستوي الأزرق والأصفر ؟ الأبيض والأخضر ؟

أنت لا زلت تؤيد مثلاً منع لبس الحجاب.. رغـم أنـه مجـرد غطـاء رأسٍ لا يـؤذي أحـداً.. ولـم يـتم جبـر صـاحبته علىٰ ارتدائـه.. فلمـاذا وصـفته بـالتمييز الـديني : ولـم تعاملـه مثـل لـبس الصـليب أو قلنسـوة الرأس (الكيباه) أو وشوم عبدة الشيطان ؟! بل ولا زلت تطالب بحظر لبس النقاب وتغطية الوجه لمَـن اختـارت ذلـك لنفسـها : فـي حـين لا يمكنك المطالبة بمنع إخفاء الوجه بياقة الجاكـت فـي يـوم الصـقيع ؟ ولا المطالبـة بمنـع لـبس الكمامـة علىٰ الوجـه فـي اليـوم العاصـف أو للخوف من العدوىٰ ؟ ألا ترىٰ في ذلك تناقضـاً صارخـاً رغـم تسـاوي النقـاب معهـم جميعـاً فـي اسـتعداد صـاحبته للكشـف عـن وجههـا إذا طلب أحدٌ منها ذلك" ؟!

كـان بروفيسـور (تـامي) يمـارس نفـس مـا يقـوم بـه دكتـور (ياسـر) وزوجته من إبـراز التناقضـات والثغـرات الصـارخة فـي منظومـة المنـع والسماح في التشريعات الحقوقية والحريات..

حيث بـات مـن الواضـح الآن (هكـذا ظهـر للمشـاهد المحايـد) أن هناك مُحركات أخرىٰ هي التي تحرك مثل هذه القوانين !

زفر بروفيسور (جاك) زفرة المتململ – أو هكذا أرادها أن تظهر – وهو يقول محاولاً سد هذه الثغرات التي أثارها مُحاوِرُه :

"أووووووه بروفيسور (تامي).. هل تريد إثارة ذلك من جديد ؟! وهل عليّ أن أعيد نفس ردودي السابقة" ؟!

في هذه اللحظة تدخل المذيع محاولاً إنقاذ ما تبقىٰ من وقت الحلقة.. ومحاولاً تجنب تكرار ما تم مناقشته في حلقةٍ سابقة.. بالإضافة إلىٰ أنه بعد كلام بروفيسور (تامي) الأخير في إظهار تناقض القوانين مع ملف (الأمن المجتمعي) وما أسماه (عبث الهوية) : صار وضع بروفيسور (جاك) ضعيفاً.. وهو يعرف أنه عندما يصير في هذا الوضع فإنه سيضيع وقت الحلقة !

"لعلنا نوقف النقاش في هذا الاتجاه.. ولنسلط الضوء حول حُكم القضاء في قضية (القتل بالتراضي).. هل ستوافقه بروفيسور (جاك) مهما كانت نتيجته سواء بإباحة (القتل بالتراضي) أو منعه" ؟

تنفس بروفيسور (جاك) الصعداء مع تغيير دفة الحديث إلىٰ شيءٍ يمكنه الجدال فيه من جديد.. فقال بعد أن عاد بظهره إلىٰ الخلف :

"أنا مع حُكم القضاء الأول عندهم بالمنع.. بل وكنت نشرتُ في موقعي اقتراحاً بفرض نوعٍ من (الحَجْر) علىٰ دكتور (ياسر) وزوجته لمصلحتهما.. وأن ذلك الضبط (المجتمعي) مطلوبٌ في مثل تلك الحالات التي فيها خطرٌ علىٰ المواطن.. ولغلق هذا الباب تماماً تجنباً لتداعياته وتطوراته في المستقبل إذا ما تمت الموافقة عليه".

سكت لبرهة.. فاستغلها بروفيسور (تامي) قائلاً بلهجةٍ ساخرة :

"ومَن الذي سيُعيِّن الحد الفاصل لما يُعد خطراً علىٰ المواطن

يجب الحَجْر عنده ؟ مما لا يُعد خطراً عليه ؟! قل لي بروفيسور (جاك) : إلىٰ أي مدىٰ يمكننا تطبيق هذه الفكرة علىٰ السجائر مثلاً ؟ هل يمكنك – بنفس المنطق – أن تطالب بالتدخل المجتمعي بالقوة لمنعها عن المُدخنين بحُجة حمايتهم من خطر الموت ؟

أم أن الموت وضياع الصحة بالتدريج عبر عشرات السنين هو أكثر (ربحـًا) للشركات المليارية وحكوماتها في امتصاص خيرات المواطنين : أفضل بكثير من موتهم السريع في (القتل بالتراضي)" ؟

نظر بروفيسور (جاك) بدهشةٍ إلىٰ بروفيسور (تامي) الذي قلب عليه الطاولة بهذه الصورة فجأة.. قبل أن يواصل الأخير قائلاً :

"أنا لست مُدخنًا.. لكن يمكن لأي مدخنٍ الآن إخراج علبة سجائره وقراءة المكتوب عليها بوضوح : (السجائر قد تتسبب في موتٍ بطيءٍ ومؤلم) ! فلماذا لم يمنعها المجتمع ؟!

أظن أنك تتفق معي الآن بروفيسور (جاك) أنه ليست (الحقوق والحريات) التي تقود التشريعات في الحقيقة.. بل غالبًا أمورٌ فوق ذلك بكثير" !

سكت الإثنان وقد قاربت الحلقة علىٰ الانتهاء.. فتدخل المذيع قائلاً في تساؤل :

"حسنًا بروفيسور (جاك).. إذن أنت تنحاز من جديد إلىٰ القوانين أيـًا ما كانت نتيجتها.. والسؤال الآن : بافتراض نجاح الطعن علىٰ الحُكم الأول في القضية.. وظهور الحُكم بإباحة (القتل بالتراضي)

قانونـاً – وهو ما أتوقع موافقتك عليه في هذه الحالة – : مـا رأيـك فـي موقف شركتي فيسبوك ويوتيوب العـالميتين مـن قضـية البـث المباشـر لهـذا الحـدث سـاعتها ؟ خاصـةً بعـد ربـط المحكمـة الدوليـة للحُكـم بنتيجة هذا الطعن".

أخذ الرجل نفسـاً عميقـاً يتناسب مع كلمة النهاية فـي الحلقـة قبـل أن يقول في هدوء :

"هذا سؤالٌ جيدٌ (كاردو).. وهـو يتـرجم مـا أنـا عليـه وأتوافـق معـه تمامـاً.. فأنـا كمـا أعلنـت مـن قبـل : مـن أكثـر المتقبلـين لنسـبية الآراء والأحكام.. ولا أعترف بموضوعية أي قضيةٍ أو رأيٍ معينٍ وثباته.. بل أنا فيه مع الأكثرية.. أو مع ما يحدده القانون.. ومن هنا :

فإذا تمت إباحة (القتل بالتراضي) في الطعن الأخيـر : فـلا أرىٰ أي مانعٍ من السماح بالبث المباشر فـي الإعـلام ووسـائل التواصـل.. إذ : لـن يوجـد أي مسـوغٍ سـاعتها للمنـع مهمـا كـان صـادمـاً للـبعض فـي الحريات الفردية التي بالتراضي.. مع وضع تنبيهٍ في بداية بث الحدث أو مع بداية نشر الفيديو : للتحـذير مـن احتوائـه علـىٰ مشـاهد داميـةٍ أو مؤلمةٍ للبعض.. لا أرىٰ في ذلك ساعتها أي حـرج.. خاصـةً أننـا نقـوم بـذلك بالفعـل فـي بعـض القنـوات والأفـلام الإباحيـة.. وكـذلك قبـل فيديوهات الحوادث والحروب والاعتداءات الدامية.. هذا رأيي".

***

الحل الأخير

توقفت سيارةٌ فارهةٌ أمام المبنىٰ الرئيسي للمكتب العام.. لينزل منها البروفيسور والدكتور (رأفت) في اهتمام.

تخطيا مسافة ٥٠ متراً من المساحة المحيطة بالمبنىٰ والمليئة بالحرس ونقاط التفتيش والمراقبة.. حتىٰ وصلا إلىٰ صالة المدخل الرئيسية ليستقبلهما أحد رجال السترة السوداء.

استقلا المصعد معه.. لكن بدلاً من الصعود كما توقعا.. هبط المصعد إلىٰ الأسفل ثلاثة أدوار.. كانت هذه مفاجأتهم الأولىٰ.

أما مفاجأتهم الثانية : فهي وجود رجلٍ بملابس مدنية غير معروفٍ لهما.. كيف لم يرياه من قبل في مجال عملهما ثم يجلس اليوم مع ذوي السترات السوداء الجالسين في غرفة الاجتماعات الخاصة ؟!

لقد جاءا هذا المبنىٰ أكثر من مرةٍ في السنوات الأخيرة لإنهاء بعض الإجراءات أو لحضور بعض اللقاءات.. لكنها المرة الأولىٰ التي يعرفان فيها أن هناك أدوارٌ بالأسفل.

كانوا جميعاً ثمانية أفراد.. جلسوا علىٰ طاولة اجتماعاتٍ دائريةٍ لزيادة التواصلية فيما بينهم إلىٰ أعلىٰ درجات التركيز.

تكلم أحد الرجال – الذين لم يجرؤ البروفيسور ولا دكتور (رأفت) علىٰ السؤال عن أسمائهم أو هوياتهم – عن خطتهم التي تم اعتمادها سابقاً.. وكيف أنها تتداعىٰ اليوم مع المجهودات الأخيرة

للدكتور (ياسر) وزوجته في بث البلبلة والتهييج الشعبي عبر لقاءات البث المباشر :

"لقد فتحنا الباب أمام الجماهير لتمنع خروجهم من الفيلا ومضايقاتهم وتهديدهم.. لكن أتىٰ ذلك بنتائج عكسية تماماً !

كنا نظن أن منعهم من الخروج وحضور برامج الفضائيات والتوك شو : سيقلل من حدة النقاشات التي كانوا يثيرونها فيها.. علىٰ اعتبار أنها تستعرض الرأي والرأي الآخر.

لكن الآن : صارا يغردان منفردين !

طريقتهما في العرض صارت أكبر أثراً وأعمق.. بل وأخطر..

منذ أيام : انطلقت الوقفات الاحتجاجية بخصوص طفل الختان ومطالباتٌ شعبية بتغيير القانون.. وبالأمس شغبٌ واحتجاجاتٌ أمام إدارة (الحقوق والحريات) بشأن كل التشريعات التي تتعلق بالهوية والجنس ! المشكلة أنه بمرور الوقت صار الناس أكثر جرأة.. ولو اتخذنا جانب القوة الآن نخشىٰ من انفلات الأمر بالكلية".

هنا رفع دكتور (رأفت) يده في تردد – لا يعلم إذا كان مسموحاً له بالمقاطعة أم لا أمامهم – .. فأشار له أحدهم بأن يتكلم.. فقال :

"أعتقد أنه من السهل لمكتب مثلكم إجبار إدارة الفيسبوك واليوتيوب علىٰ وقف البث المباشر لهما.. ما رأيكم" ؟

تحدث رجلٌ آخر غير الأول فنظر الجميع إليه :

"فكرنا في هذا الحل بالفعل.. لكن التوقيت غير مناسب.. لو كنا

قمنا بذلك منذ ٣ أسابيع فقط لكان مقبولاً عندما كان نشاطهما علىٰ الفضائيات وفي البرامج.. أما الآن ومع هذا الحشد الجماهيري والاحتقان المتزايد : فالموضوع صار أصعب".

وهنا رفع البروفيسور يده طالبًا الكلمة.. فأذنوا له :

"ماذا لو قمنا بتفريق الجماهير خارج الفيلا ؟ وبذلك يخف الضغط قليلاً.. ويمكنهما العودة إلىٰ البرامج" ؟

تراجع رجلٌ ثالثٌ في مقعده وهو يقول في هدوء :

"لم يعد ينفع مثل هذا الإجراء الآن أيضًا.. فهو من جهة سيثير الشعب أكثر إذا لجأنا إلىٰ القوة في تفريقهم.. ومن الجهة الأخرىٰ لم يعد يمثل ذلك فارقًا يُذكر.. بل نظن أن (ياسر) و (نيفين) صارا يفضلان ما هما عليه الآن.. ويشعران عند مطالعتهما للأخبار بالتأثير اليومي المتزايد لكلماتهم الملقاة عبر البث".

تدخل دكتور (رأفت) هذه المرة دون أن يستأذن.. وكأنه لا يريد ترك لحظةً من السكوت أو الصمت :

"ماذا لو قتلناهما أو أحدهما وألصقنا ذلك بجماعة (الإنسانية) ؟! أو حتىٰ نحاول قتلهما بصورة تبدو كحادث غير مقصود ؟ مثلاً حريق في الفيلا.. أو انفجار في الغاز" ؟!

تحدث أحد الرجال الجالسين بلهجةٍ أقرب للسخرية قائلاً :

"أو سقوط صاروخٍ علىٰ الفيلا أو تحطم طائرةٍ في غرفة نومهما" !

كتم دكتور (رأفت) غيظه من هذه السخرية علىٰ فكرته.. لكن من

الواضح أنها كانت تصب في ذات الإشكال.. وهي أنها ستكون مكشوفة الآن للرأي العام مع اقتراب ليلة الـ ٢١ !

كانت الفكرة رائعة.. لكن قبل أن تشتعل الأمور..

"لقد حذرتكم من هذا كله من قبل.. وفي يوم المحاكمة الأولىٰ أخبرت البروفيسور أنه الوقت الأمثل للقتل.. لكن لم يستمع لي أحدٌ للأسف"..

قالها دكتور (رأفت) ثم سكت للحظةٍ قبل أن يستطرد مُستنكراً :

"إذا كانت كل هذه الحلول فاشلة.. فلماذا طلبتمونا اليوم" ؟!

قالها وقد عاد انتباهه إلىٰ وجود الرجل الغريب معهم..

وهنا عاد الرجل الأول إلىٰ الكلام مرةً أخرىٰ قائلاً وهو ينظر إليه :

"لقد بات واضحاً فشلنا الثاني في إيقافه بشكلٍ مباشرٍ قبل ليلة ٢١.. يتزامن ذلك مع ما قررناه من انحياز القاضي هذه المرة إلىٰ صالح الحقوق والحريات.. حيث ظهر لنا أنها لو تراجعت في هذه الفترة فستنهار مكتسباتنا منها الواحدة تلو الأخرىٰ في تسارع.. هذا ما أظهرته ردود فعل أغلب الناس حالياً.. لكن الأمر يحتاج منا محاولة أخيرة.. إما بمنع (ياسر) عن خطته بطريقة غير مباشرة قبل ليلة ٢١.. وإما بالتعامل مع ما سيحدث في تلك الليلة بكل تعقيداتها وحساباتها.. وفي كلٍ من الحالتين نحتاج مَخرجاً عبقرياً يُبعدنا عن المساءلة : مهما كان ما سيفعله أو يقرره (ياسر) وزوجته" !

سكت الرجل للحظةٍ ثم قال بشيءٍ من الحماس :

"لقد طلبناك بالاسم دكتور ! أو بالأخص : طلبك دكتور (عامر) بالاسم.. يعني.. كونك كنت صديقاً من المقربين لـ (ياسر) لسنواتٍ وتعرف كيفية حواره وإقناعه أو التأثير عليه"..

قالها الرجل وهو يشير إلىٰ الرجل الغريب.. ثم واصل :

"الدكتور لديه خطة.. والعامل النفسي فيها هو الأساس.. ويرىٰ أنك وحدك المؤهل لهذا الدور.. فهل أنت مستعد" ؟

فوجئ دكتور (رأفت) بهذا الكلام..

ثم تفكر قليلاً في دكتور (عامر) الجالس معه علىٰ نفس الطاولة بوجهه الخالي من الانفعالات :

"هل يعرف المسكين ما الذي يمكن أن يحدث له إذا فشل" ؟!

الرجل لم يُسلط الضوء عليه إعلامياً بعكس دكتور (فضل).. يعني انتقام المكتب سيكون منه رأساً.. وبالكيفية التي تشفي غليلهم !

لم يعرف دكتور (رأفت) إذا كان الرجل يعرف ما حدث للدكتور (فضل) وابنه من قبل أم لا..

لكنه استعد للاطلاع معهم علىٰ هذا (الحل الأخير) !

***

انتقام

كثيرةٌ هي آلام الفراق التي يمكن أن تصيب البشر.. لكن أقصاها عنفًا تلك التي تأتِ فجأة.. مثل موت حبيبٍ.. خاصةً إذا كان صغير السن لا يُتوقع موت أمثاله في الغالب.. وأما الأصعب : ألا تكون قد سنحت لك الفرصة لوداعه.. أو لإخباره بمدىٰ حبك له.. أو حتىٰ لطلب السماح منه.. أو حتىٰ مسامحته !

كل ذلك تجسد في قلب دكتور (ياسر) مع انتحار ابنته.. في أقل من أسبوعٍ واحدٍ انقلبت حياته رأسًا علىٰ عقب.. كان غارقًا حتىٰ أذنيه في مشاكل التشريعات الجديدة ونقاشاته ومسودات تعديلاته واعتراضاته علىٰ قوانين الطفل.

ثم بين ليلةٍ وضحاها تبخر كل ذلك.. ليعيش مأساةٍ لطالما خشي من داخله أن تتحقق في يومٍ من الأيام ! إنها (عقاب القَدّر) !

بكىٰ كما لم يبك من قبل علىٰ (جنا).. بكىٰ كطفلٍ صغير.. شارف أحيانًا علىٰ الجنون لفراقها.. كان فراقها وحده مصيبة ! فكيف وقد جاء بهذه الصورة المفجعة ؟!

فكر في الانتحار مثلها.. شيءٌ لم يكن ليخطر علىٰ باله يومًا أن يكون بهذا الضعف.. لكن تم كشف حقيقة نفسه الإنسانية الضعيفة أمامه.. تبخرت كل الثقة.. تبخر كل البهرج الذي كان يصاحبه في عمله وفي مجتمعه الحقوقي الحُر وبين الناس !

كـان انتحـاره تكفيـراً عـادلاً فـي نظـره.. بـل فـي نظرهمـا معـًا هـو وزوجتـه.. ولأول مـرةٍ يـرىٰ هـذا الانكسـار فيهـا هـي الأخـرىٰ.. تلـك الدكتورة المعتدة بنفسها دومـًا.. والتي قـليلاً مـا تبكـي - بعكـس أكثـر النساء - رأها تبكي كما لم تبك من قبل طيلة عمرها.

كانت حسرتها بفشلها أكبر من حسرتها لفقدان ابنتها.. كان فقدانها صدمةً أفاقتها من عالمها الخيالي الـذي تعيشـه.. مـن سـعادتها الزائفـة التي كانت تستمدها من مجتمعهـا المحـيط بهـا.. سـعادتها بمَـن كـانوا يصـفقون ويهللـون لهـا ويضـربون بهـا المثـل علـىٰ القلائـل اللاتـي استطعن تحقيـق المعادلـة : النجـاح فـي أسـرتها.. وفـي عملهـا.. وفـي نشاطاتها معـًا.. لكن كل ذلك انهار في سويعات.

كانت ترىٰ موت زوجها وهو حيٌ أمامها : في كل ساعةٍ تمر عليـه وابنته مُبعدةٌ في دار الإيواء لا يسـتطيع حتـىٰ الكـلام معهـا.. فلمّـا جـاء خبر انتحارها : أمسكت الدكتورة السكين وطلبت منه أن يقتلها بيده !

أن يريح قلبه بالانتقام من تقصيرها في حقهما معـًا.. نعم.. لم تكن الأم التـي حلمـت ابنتهـا بهـا.. ولـم تكـن الزوجـة التـي تراعـي غيـاب زوجها في ابنته.. لم تكن حلقة الوصل تلك التي تضـفي الحنـان علـىٰ ابنتها عند انشغال أبيها.. وفوق كل ذلك لـم تـف بوعدها له.

لـم يكـن مـن شـيءٍ ليمنعـه مـن قتلهـا سـاعتها.. بالفعـل كـان قتلهـا ليشفي بعضـًا من غليله.. كـان متنفسـًا لـبعض النيـران التـي تأكلـه مـن داخله ! كان سيقتلها ثم يقتل نفسه ورائها ! فمثلهما لم يكن لهما رادعٌ

عـن الانتحـار مـن ديـنٍ يُحرِّمـه.. ولا مـن أهـلٍ يخشـون فـراقهم أو فضيحتهم بين الناس.. فقد تبرأ أهلهم منهم منذ سنواتٍ طويلة.

لكنه لم يفعل.. لم يكن هذا الانتقام الذي يُرضيه.. وماذا سيكسب بقتل زوجته ثم الانتحار إلا زيادة الخسران خسرانـًا ؟!

لـم يعتـد علىٰ الفشـل.. ولا زوجتـه.. لـم يعتـد علىٰ تـذوق مـرارة الهزيمـة بهـذه الصـورة.. فكيـف إذا جمـع إلـىٰ مرارتهـا مـرارة الانسحاب.. توقف فجأةً ليخبر زوجته بالخطة..

خطة (الانتقام) !

جلسا يومين كاملين في غرفة نومهما بالفيلا لا يشغلهما شاغلٌ إلا تخيل كل خطوةٍ سيخطيانها معـًا لزعزعة بيت الشر.. بيت الغول الذي هدم بيوتٍ وشرّد أُسَرَ وقتل آلاف البشر قبل أن يولـدوا ! وقتـل طفولـة الآلاف غيرهم ممَن شوّه حياتهم وعبث في حق نشأتهم نشأةً سوية !

جلسـا يخططـان معـًا كـل تفصـيلةٍ.. كـل احتمـالٍ.. كـل رد فعـلٍ متوقع.. ولم يعد يتبقىٰ إلا خطـوةٌ استباقيةٌ أخيـرة.. أو (خطـة تـأمين) كما وصفها دكتور (ياسر)..

وذلك تحسبـًا لأسوأ الاحتمالات إذا وقعت....

يجب عليه مقابلة (مجدي) !

* * *

جولة في أخبار يوم ١٥ من الشهر

صحيفة (آراء وأخبار) : بعد جلسات الاستماع الثانية في طعن إدارة (الحقوق والحريات) علىٰ حُكم المحكمة في قضية (القتل بالتراضي) : أنباء عن ترجيح كفة الطعن – كتبت (هيا العالي) :

في ظل التشريعات القائمة والتي تمت بالتصويت النزيه للشعب علىٰ مباديء (الحقوق والحريات).. تصاعدت أنباء عن الترجيح المُنتظر لكفة الطعن لإبطال حُكم المحكمة بمنع تشريع (القتل بالتراضي).. بل والتمهيد لإعلانه كأحد الحقوق المكتسبة في حق أي مواطن طالما توفر فيه الشرطان : حرية المقتول في الاختيار .. وعدم إيذاء غير المقتول.. وبذلك يصير هذا التشريع الجديد : تتويجاً للحق التام لأي إنسانٍ في التصرف بجسده كما يشاء.

***

موقع (وورلد أي نيوز) العالمي : في لقائين متتابعين للرئيسين التنفيذين لفيسبوك ويوتيوب : أعربا عن أسفهما بخصوص الأنباء المتداولة بقرب الحُكم بصحة الطعن في قضية (القتل بالتراضي).. والتي تم تعليق حُكم المحكمة الدولية عليه للسماح بالبث المباشر لعملية القتل علىٰ الهواء مباشرةً ليلة ٢١.

***

جريدة (حوادث لايف) : الحُكم بالحبس الانفرادي علىٰ

(متحرش سجن النساء) المتحول جنسياً – كتبت (هالة الحمشان) :

في واحدة من أغرب قضايا الهوية الجنسية في السنوات الأخيرة.. تم إقرار الحُكم بالحبس الانفرادي للسجين/ السجينة (م.ش).. بعد ثبوت ارتكابه لـ ١٥ واقعة تحرش في سجن النساء.. وذلك بعدما تم تحويله إليه منذ ٤ أشهر بعد عملية تحوله الجنسي من رجلٍ إلىٰ امرأة.. والتي لم يُراعي القاضي فيها جريمة سجنه الأصلية بسجن الرجال وهي الاغتصاب !

هذا وقد طالبت جمعية (هويتي) بتخصيص سجن ثالث للمتحولين جنسياً علىٰ غرار سجني الرجال والنساء.. وذلك نظراً لجرائم الاعتداء الجنسي الأخرىٰ التي تتم في حق المتحولات من النساء إلىٰ الرجال في حال سجنهن.

* * *

جريدة (أفق الحرية) : نجاح أول عملية استيلاد عائلي في بلادنا بولادة الطفلة (ريم) لرجلين (أخين).. بعد تلقيح أحدهما في رحم جدتها (أم الرجلين) – كتبت (سها العيد) :

في أول عمليةٍ من نوعها في بلادنا تنجح عملية استيلاد عائلي بين رجلٍ وأخيه وأمهما.. حيث تزوج (م. ز) بأخيه (س. ز) نهاية العام الماضي.. وتم استيلاد أمهما (ر.ع) بنطاف الابن (م. ز) لإنجاب ابنتهما (ريم) بالأمس.. وذلك في حضور لفيفٍ من مواقع الأخبار والصحف المحلية والعالمية.. مع التقدير الرسمي لهذه الخطوة

العملية للتحرر من قيود الأسرة الاعتيادية.. وإن جاءت متأخراً.

وفي نفس السياق حاول فريقنا الإعلامي التواصل مع الوالد/ الجد (ز.ص) المنفصل عن زوجته وابنيه منذ سنواتٍ للتعليق علىٰ الحدث.. لكنه لا زال يرفض المقابلة والتعليق.

***

صحيفة (المؤشر) : تزايد في عمليات الإجهاض بمعدل ٧ , ٢٪ عن العام الماضي (ما يعادل مليون ونصف حالة) أغلبها للذكور.. مع اقتراب الحُكم في قضية التشخيص الخاطيء لطفل متلازمة (داون) (ش. هـ) وأخبار عن قتله رسمياً مع التعويض المالي بمبلغ قد يصل إلىٰ ٣ مليون – كتبت (سناء الطايل) :

كان الناس قديماً يتخلصون من المواليد الإناث بوأدهن في التراب.. فعبر القرون ارتبط ميلاد الأنثىٰ بمخاطر الخوف من العار أو الفقر كونها عالة غير فاعلة في المجتمع.. وظل هذا السلوك قائماً إلىٰ سنواتٍ قليلةٍ مضت.. وإن أخذ القتل حديثاً مسار الإجهاض المقنن رغبةً في ولادة الذكور.. أما اليوم.. ومع المكتسبات الهائلة للمرأة والأنثىٰ عموماً : فقد شهدت المجتمعات في شتىٰ ربوع العالم انقلاباً في تلك المعايير.. وصار الإقبال متزايداً علىٰ استبقاء المواليد الإناث علىٰ الذكور.. هذا ما أكدته الإحصائية الأخيرة لمركز (المراقبة والرصد) الخاص بمعدلات الإجهاض.. حيث مع تزايد نسبة الإجهاض ٧ , ٢٪ عن العام الماضي (ما يعادل مليون ونصف

حالة).. كان للمواليد الذكور النسبة الأكبر فيها بما يقارب مليون و ١٠٠ ألف حالة).. هذا عن الإجهاض الاختياري.

أما عن الإجهاض المَرَضي.. فقد بلغت نسبته ما يقارب ٤٠٠ ألف حالة هذا العام.. وبزيادةٍ طفيفةٍ عن العام الماضي.. وقد تصدرت متلازمة (داون) أو (البله المغولي) رأس التصنيف.. وذلك رغم المعارضات المتزايدة لعمليات القتل الدستوري للأجنة المصابة.

أما عن حالة الطفل (ش.هـ) الذي فشلت فحوصاته الجينية في اكتشاف إصابته بمتلازمة (داون).. فقد طالعتنا مصادر مقربة من المحكمة المتخصصة بأنباء عن صدور الأمر بقتله رسمياً وفق ما تقتضيه مادة (الولادة غير العادلة) من قانون الحقوق والحريات الأخير.. مع أخبار مؤكدة عن صدور أمر رسمي بالتعويض المالي لوالديه والذي قد يصل إلىٰ مبلغ ٣ مليون يدفعها (المركز الرسمي للتشخيص).. مع إقالة مختصي الفحص الذين باشروا حالته.

* * *

موقع (راصد التعليم) : مجلس الآباء بمدارس (التنوير) يجدد مطالبته بفرض الملابس المحتشمة علىٰ الطالبات.. واستمرار موقف الرفض من الإدارة التي تتمتع بالدعم الكامل من إدارة الحقوق والحريات – كتبت (نوفا عايش) :

في تصعيدٍ للاعتراضات علىٰ ملابس الطالبات : جدد مجلس آباء مدارس (التنوير) مطالبته الإدارة بفرض الملابس المحتشمة علىٰ

الطالبات.. وقد صرح المهندس (ن.م) رئيس مجلس الآباء بأن معدلات التحرش بين الطلبة والطالبات في تزايد.. وأن السن الصغير للطالبات قد لا يسعفهن للنجاة من محاولات معاشرتهن بواسطة زملائهن أو المعلمين.. وأن الحوادث في الثلاث سنوات الأخيرة خير دليل.. كما صرح أنه لا يطالب بلبس الحجاب.. لا يطالب بستر الشعر.. ولكن يطالب بستر مواضع الفتنة من الجسم..

وأضاف أنه كأب : يعرف تمام اليقين كم يستثير إبراز هذه المواضع أي ذكرٍ صغيراً كان أم كبيراً.. وأنه ومَن معه من أولياء الأمور لن يخادعوا أنفسهم بالادعاء بأنه لا يوجد شيء.. كما طالب أخيراً وزارة التعليم وإدارة الحقوق والحريات وباسم جميع مَن يمثلهم من الآباء : بفتح باب الاستثناءات في المدارس التي تختار إداراتها أو بأغلبية أولياء أمورها تغيير الملابس الحالية للبنات والفتيات.. وأنَّ أسلوب الجبر علىٰ الملابس المكشوفة الذي يُمارسُ رسميًا علىٰ كل المدارس مع التعليم الجنسي للتلاميذ : ينذر بكوارث وشيكة مع ضَعف المراقبة وقلة التزام الطلاب بموانع الحمل !

* * *

موقع (معاقين للحياة) : الأستاذ (كريم العوفي) يجدد تأييده لمنع تفعيل مادة (الولادة غير العادلة) لقتل الأجنة ما لم يكن في حياتها ضررٌ قاتل علىٰ الأم أو الجنين – كتب (ممدوح الحائر) :

يطالعنا الأستاذ (كريم العوفي) من جديد بمقالٍ قصيرٍ علىٰ مدونته

ينتقد التفعيل القسري لمادة (الولادة غير العادلة) التي تقتضي بقتل المصابين بأمراضٍ وراثيةٍ لا سبيل معلوم للشفاء منها اليوم.. وذلك في حال موافقة الوالدين سواء قبل الولادة أو بعدها لفترة سنة.

كما أرجع التساهل في قتلهم إلىٰ مَن يرىٰ أنهم لا يملكون مشاعر وأفكاراً إنسانية مثل البالغين.. وهذا خطأ.. فهم يستشعرون المحبة والحنان ولديهم بذرة العقل والإبداع.. كما أنه بدونهم ما كنا لنُوجد !

وقد تناول مقاله نقداً علمياً وإنسانياً للمسألة.. حيث تحدث عن دور وجود المرضىٰ تاريخياً في تقدم العلوم والبحث عن العلاج.. مما ساهم في عشرات الاكتشافات العلمية والطبية الهامة.. وكذلك تحدث عن الجانب الإنساني في حق المريض في الحياة.. وأنه قبل تلك القوانين كانت تجد الأسر والعائلات سلواها الروحية في العناية بالمعاقين وخدمتهم وإدخال السرور علىٰ قلوبهم.. وكذلك تنمية ما يمكن تنميته من مهاراتهم.. وقام الأستاذ (كريم) بتكرار السؤال الشهير : "متىٰ يكون الإنسانُ إنساناً له حق الحياة ؟! وهل مجرد الإعاقة تسلب منه هذا الحق ؟ ما الفارق بين إعاقة إنسانٍ منذ بداية حياته أو إذا أصابته بعد سنوات ؟ ماذا لو أصبتُ أنا أو أنتَ بإصابةٍ أقعدتنا عن الحركة ؟ هل يحق ساعتها لغيرنا أن يقتلنا بحُجة أنه أرحم بنا منا ؟ أو بأنه يوفر موارد البلاد" ؟! ويختم الأستاذ (كريم) مقاله بالحسرة علىٰ مجتمعات الماضي.. تلك المجتمعات التي كان تعمل علىٰ حفظ القيم المُطلقة للإنسان والأسرة والمجتمع.. وتعاقب كل

مَن يتعدىٰ عليها.. أما اليوم.. فقد فرضوا (قيداً) علىٰ التدخل الرسمي لحماية القيم والصواب وأسموه : التعدي علىٰ الحريات !

❋ ❋ ❋

موقع (كوميكس ومن إنديكاتور) : أخيراً.. إقالة (هارشي وارس) وإلغاء شخصيته الجديدة – كتبت (نانسي ريد) :

تحت وطأة التحركات الحقوقية النسوية الأخيرة والاعتراضات المتزايدة والتهديدات بمقاطعة سلسلة (بيبول إكس) : تمت إقالة رسام ومؤلف الكوميكس (هارشي وارس) مبتكر شخصية (أونلي مان).. مع إتلاف وإلغاء العدد الأول من ظهور الشخصية في سلسلة (بيبول إكس).. وقد شهدت الحالة المجتمعية احتقاناً الأيام الماضية بعد تأكيد عشيقته السابقة (تانيا ويل) علىٰ نيته ومقصده بهذه الشخصية.. حيث أعرب لها عن غضبه من فرض الحالة النسوية العامة علىٰ مجتمع الكوميكس ظهور نسخة نسائية من كل بطل ! وأنه (كرجل) يقوم بتحميل المسؤولية لأول مَن سمح بـ (المرأة السوبروومان) و(المرأة العنكبوت) و(المرأة الوطواط) و(المرأة الحديدية) و(المرأة الهالك).. وأن الوضع صار – في نظره – مزرياً لدرجةٍ لا تطاق.. ومن هنا كان دافعه لابتكار شخصية (أونلي مان) !

❋ ❋ ❋

صحيفة (المَجمَع) : استقبال طلبات تغيير المصطلحات الجديدة في الدورة الحالية لمَجمَع اللغة العربية – كتبت (هناء رزق) :

تلقىٰ دكتور (عايش الرويني) رئيس مَجمَع اللغة العربية طلبات تغيير المصطلحات الجديدة في الدورة المنعقدة حاليـًا بأرض الجامعة.. والتي كان من أبرزها هذا العام المطالب النسوية من جديد.. حيث تعلقت في هذه الدورة بطلبات تأنيث بعض أسماء أعضاء الوجه المُذكرة مثل (فم) و(أنف) و(شعر) و(لسان).

* * *

موقع (أطراف الحَدَث) : منظمة الصحة العالمية ترفض البَتَّ في مشروع ختان الأطفال الذكور المطروح علىٰ هامش قضية الطفل (أيمن) الشهيرة – كتبت (روان خليل) :

في خطوة من شأنها إشعال الاحتجاجات حول قضية الطفل (أيمن) الشهيرة.. ورغم نشرها سابقًا لفوائد ختان الذكور علىٰ موقعها الرسمي للوقاية من أمراضٍ كثيرةٍ علىٰ رأسها (الإيدز) : رفضت منظمة الصحة العالمية الإحالة القضائية عليها للبت في منع أو إباحة ختان الذكور في سنٍ صغيرةٍ.. وقد صرح المتحدث الرسمي باسم المنظمة البروفيسور (جيم تارجي) بأنه ليس من شأن المنظمة في هذه الحالة إعلان الإباحة القانونية.. وأن المنظمة تتدخل بالتوجيه فقط في حال الأوبئة والأزمات الصحية العامة.. وهو ما يعطي مساحةً أكبر من الترقب في السنوات القادمة لرصد النتائج الصحية المترتبة علىٰ استمرار قانون حظر ختان الذكور الصغار.

* * *

الحُلم !

"هل من الممكن أن تأتي زوجتي معي" ؟

سأل دكتور (ياسر) بهذه الكلمات المُنكسرة صديقه (مجدي) في الهاتف وهو يستأذنه في الزيارة.

"نعم نعم بالطبع.. لا إشكال.. ستجلس مع زوجتي"..

قالها (مجدي) وهو يستشعر كل الأسىٰ والحسرة في صوت صديقه.. يا لها من صدمة.. وأي صدمة ! وقبل أن ينهيا الاتصال سأله (ياسر) في فضول :

"(مجدي).. هل لك في تفسير الأحلام" ؟

تعجب (مجدي) من السؤال.. خاصةً من شخصٍ مثل دكتور (ياسر) لم يره يوماً - منذ أن عرفه – يؤمن بمثل هذه الأمور والماورائيات الغيبية ! فرد عليه في هدوء :

"لا صديقي.. لست ممَّن يفسرون الرؤىٰ والأحلام.. ولا أعرف حتىٰ رموزها وعلاماتها.. لكن ربما كانت رموزاً أو علاماتٍ واضحةٍ لا تحتاج إلىٰ تعبيرٍ وتفسير"...

وفي الوقت المتفق عليه.. كان دكتور (ياسر) يضغط علىٰ جرس الباب في العمارة المتواضعة.. وما أن فتح (مجدي) لهما حتىٰ ارتمىٰ دكتور (ياسر) علىٰ كتفه يسحُّ دمعاً.. لم يتمالك (مجدي) نفسه لبكائه علىٰ مصيبته فشاركه البكاء علىٰ غير إرادةٍ منه.. وكذلك فعلت زوجته

دكتورة (نيفين) مع زوجة (مجدي) التي وقفت خلفه في صالون البيت الصغير.

كانت امرأةً بسيطةً ملتزمةً بحجابها الكامل في ظل استقبالها لهما.

ومن ورائها وقف فتيان كبيران.. ثم...

ثم ابنتهما الوحيدة التي تقارب في حجمها وملامحها (جنا).

منذ أن حكىٰ لها دكتور (ياسر) عن بيت (مجدي) ولقائه السابق قبل تلك الزيارة : اشتاقت دكتورة (نيفين) إلىٰ جلسةٍ نقيةٍ مع امرأةٍ بسيطةٍ لا تتغلف بأغلفة النفاق والنجاح الخادع مثلها وصديقاتها !

اشتاقت إلىٰ مجالسة امرأةٍ تتذوق كل يومٍ وليلةٍ سعادتها ببيتها وإنجازها مع أبنائها بغير صخبٍ ولا مباهاة ! تتذوق سعادةً لا يهدمها حسدٌ ولا تُشوِهُها مشاكلُ الحياةِ التي تقع لكل أحدٍ ولكل بيت.

أما ابنتهما (ليلىٰ).. فقد نبض قلبها شوقًا لرؤيتها كذلك.. لقد أخبرها زوجها بأنها في عمر (جنا) تقريبًا.. كادت عيناها تتفجران من البكاء.. الغريب أنها اليوم :

تجلس في ضيافة مَن لو كانت رأتها منذ أسابيع قليلة فقط : لكانت سخرت من حجابها وحشمتها واستكانتها في بيت زوجها ! بل وربما كانت وصفتها بالرجعيةِ والانغلاقِ والتمسُّحِ في دور الصلاح !

استمع (مجدي) إلىٰ كل ما قصه عليه دكتور (ياسر) من خطتهما الغريبة ! تلك الخطة التي لا يعلم بها مخلوقٌ من البشر إلا ثلاثتهم الآن.. حتىٰ دكتورة (نيفين) لن تخبر بها زوجة (مجدي).

وكذلك الحارس عمّ (عيد) والخادمة (سُمية) لن يعلما بشيءٍ منها.. ليس شكًا في ولائهما – فهُما عِشرة سنواتٍ معًا – ولكن خوفًا من تفلتات اللسان هنا أو هناك.. خاصةً أن حياتهما في المدينة لم تغير من بساطتهما وسذاجتهما بالكلية.. فمثلهما يسهل استدراجه دون أن ينتبه.. لذلك كان من الهام تعايشهما مع الأزمة والأحداث الغريبة مثل بقية الناس.

ظل (مجدي) صامتًا وهو يعيد التفكير في كل ما سمع.. وضعٌ غريب ! وخطةٌ هي للخيال والمزاح والكوميديا السوداء أقرب !

لم يشأ أن يضع نفسه في مكان صديقه ليتخيل ماذا كان ليفعل إذا ما فقد ابنته.. إنها مأساة.. وأي مأساة..

لقد كان علىٰ يقينٍ من أن زيارة دكتور (ياسر) السابقة له كانت بسبب قلقه وخوفه من تشريعات الطفل الجديدة التي طرحتها إدارة (الحقوق والحريات).. توقع ذلك من أخبار تشريعات قوانين الطفل الأخيرة.. وما يعرفه من رقة مشاعره منذ شبابه رغم مادية تفكيره.. ولاحظه كذلك مما أفصح عنه في كلامه.

ولهذا اختار أن يفجعه بالحقيقة خالِصةً بغير رتوشٍ ولا تذويقات.. لعل الصدمة تدفعه لاتخاذ خطوة النجاة من براثنهم :

"أنت مجرد (واجهة).. (كومبارس)".

فيا ليته اتعظ !

"هاه (مجدي).. ما رأيك ؟ أريد نصيحتك أو توجيهك" ؟

سأله الدكتور في لهفةٍ حقيقيةٍ.. لم يعد أمامه من شخصٍ ليثق فيه غيره.. حتىٰ عائلته : يستحي من العودة إليهم الآن.

"هل ترىٰ أنك أحطت بكل الاحتمالات كما أخبرتني الآن" ؟!

قالها (مجدي) في قلقٍ حقيقي.. لم يكن مستعداً ذهنياً في لقاءٍ مثل هذا لأن يدرس هذا الوضع الحرج.. وأن يُقيِّم هذه الخطة الخطيرة.. كان يظنها جلسة مواساةٍ وندم !

"نعم.. وضعت كل دراستي وكل خبراتي مع الإدارة في هذا السيناريو للأحداث.. أنت تعرفني منذ أيام الكلية.. كان التحليل المنطقي من أفضل ما أجيده في دراسة الأمور والقضايا الصعاب".

سكت (مجدي) مرةً ثانيةً ثم قال فجأة :

"أنت كنت سألتني عن (حلمٍ) ما.. ما القصة" ؟!

"أها.. نعم.. لقد رأيته بالأمس.. لأول مرةٍ أحلم في حياتي حلماً وأوقن في قلبي أن له معنىً.. أو أن به رسالة".

قالها دكتور (ياسر) وعلامات العجب ترسم ملامحه.. ثم استطرد قائلاً وهو يحاول تذكر التفاصيل دون أن يسقط منه شيء :

"رأيتُ كأن وادياً كبيراً.. أو حفرةً كبيرةً ليست بالعميقة.. لكنها مليئةٌ بالبشر.. أناسٌ يصرخون.. يُعانون.. رجالاً ونساءً وأطفالاً.. وحول الحفرة أو الوادي سورٌ عريضٌ عالٍ ومتين.. والذين يجاورون السورَ منهم يضربونه بأيديهم لكسره والخروج : لكن بلا فائدة.. ثم انتقلت الصورة كما في الأفلام إلىٰ خارج السور.. حيث هناك

أشخاصٌ يأتون من بعيدٍ لمحاولة كسر السور من الخارج.. شعرتُ في قلبي أنهم أشخاصٌ أقوياء.. يعني الضربة الواحدة منهم ستصنع فتحةً أو فُرجةً في السور بالفعل.. لكن مشكلتهم أنهم لا يصلون إليه".

سكت للحظاتٍ وكأنه يُراجع تفاصيل ما حكاه إلىٰ الآن.. ثم أكمل وهو يبتلع ريقه في صعوبة :

"ثم ظهرتُ أنا.. كنت أسعىٰ مثل هؤلاء الأشخاص نحو السور من بعيد.. وطيلة الطريق وأنا أراهم يتوقفون فجأةً ويسقطون.. كان المشي صعباً كأن هناك أثقالٌ في قدمي أو ملابسي.. لكني كنت أشعر بالقوة.. كان خوفي الوحيد هو أن أسقط فجأةً مثلهم.. وتحاملت علىٰ نفسي.. إلىٰ أن صرتُ أكثر مَن اقترب من السور.. عندها رأيت رجلاً يركب موتوسيكلاً بنظارة قيادةٍ تخفي معالمه.. اقترب مثلي كثيراً.. كانت مهمته أسهل بركوبه للموتوسيكل.. كان خلفه صندوقٌ صغيرٌ مثل صناديق الشحن أو توصيل الطلبات..

اقتربنا معاً.. وإلىٰ أن صار بيننا وبين السور متراتٍ قليلة : شعرتُ فجأةً أني سأسقط مثل الذين سقطوا.. وكذلك الرجل : كان وقود الموتوسيكل نفد.. فدفعته بيدي دفعةً قويةً نحو السور.. وبالفعل : وصل هو وسقطتُ أنا.. لكني كنت أرىٰ ما يحدث..

ضرب الرجل بيده السورَ فسقط منه شقٌّ كبير.. وبدأ الناسُ يخرجون مع أصواتٍ مختلطةٍ كثيرة.. ثم ارتفعت الصورةُ إلىٰ

الأعلىٰ.. لأرىٰ وكأن هذه الحفرة أو هذا الوادي : هو مركز موجاتٍ دائريةٍ تتزايد من حولها في كل اتجاهٍ من الأرض.. تماماً مثلما ترمي حجراً في المياه (مجدي).. وهنا استيقظت"..

نظر دكتور (ياسر) إلىٰ صديقه راجياً منه أي مساعدة !

فحرك (مجدي) رأسه يميناً ويساراً في إشارةٍ إلىٰ أنه لا يملك تعبير الرؤىٰ أو تفسير الأحلام.. لكنه قال في تردد :

"لا أعلم صدقني (ياسر).. لكن الشواهد وقلبي يحدثني أنه سيكون لك دورٌ كبيرٌ في رفع الظلم عن الناس.. ولعلك بذلك تكون قد كفرت عن ذنوبك فيما شاركت فيه من تشريعاتٍ وأنت تعرف مدىٰ ضررها وإجرامها في حق الكثيرين".

أعادت الجملة الأخيرة الحزن إلىٰ دكتور (ياسر) وهو يتذكر عدد القوانين التي صوّت عليها والتشريعات التي مررها طوعاً أو كرهاً.. فقال في محاولةٍ للتخفيف عن نفسه أو التبرير :

"أنا ظننت فقط..... "

وهنا قاطعه (مجدي) في رفق :

"يا (ياسر).. إن أذىٰ الكبير هو مثل أذىٰ الصغير لا فرق ! أنت كررت كثيراً أنك رغم شعورك ببعض الأخطاء بالفعل : إلا أنك كنت تتحجج بأنها في حق الكبار.. وأن الكبار لديهم حرية الاختيار.. بعكس الصغار.. لكني أقولها لك (ياسر) :

الكثير من الكبار تتحكم القوانين الجائرة فيهم أكثر من الصغار !

وتهدم التشريعات الظالمة بيوتهم وتشتت أُسَرهم وتدمر حياتهم : أكثر من (الإجهاض) وفساد (تعليم الجنس) للأطفال والعبث في (هويتهم) و(فصلهم) عن آبائهم !

نحن أبناء هذه البلد (ياسر).. والقوانين التي تشرعها أنت وغيرك ستجري علينا شئنا أم أبينا.. لا خيار هنا للكبار كما تخدع نفسك !

الذي يجري هو تدميرٌ للشباب.. هدمٌ للأسر.. إشغالٌ للناس عن مطالبهم وأبسط حقوقهم بعشرات المشاكل الفردية والأسرية والنفسية والعاطفية والجنسية حتىٰ النخاع.. فقل لي : ماذا تتوقع من بلدٍ هذا حال شبابها وقوتها التي من المفترض أنها تتحرك بها.. أو تصد بها شراً يتربص ؟! هذا غير ضياع التربية والاستقرار.

هل علمت ما الذي وقعت فيه (ياسر) لسنواتٍ وأنت لا تدري" ؟

نظر إليه دكتور (ياسر) نظرةً يملأوها الألم ثم قال :

"إذا كنت تعرف كل هذا (مجدي) : فلماذا لم يظهر أمثالك ليبينوا خطأ أمثالي علىٰ الملأ ؟! لماذا لم تستغلوا الميديا ووسائل التواصل كما استغللناها في حشد ملايين المخدوعين المُغيبين مثلنا ؟ لماذا" ؟

كانت أسئلةً بنكهة اللوم مع الحسرة والألم !

تنهد (مجدي) تنهيدةً عميقةً ثم قال :

"لقد أخبرتك من قبل (ياسر) أني مع عدم متابعتي للإعلام باستمرار : إلا أني أتابع ما أحتاج إلىٰ متابعته دومًا.. أنا الذي أختار ما أتابعه.. وعندما فعلت ذلك : علمتُ بعد فترةٍ وجيزةٍ أن كل الذين علىٰ

الساحة الإعلامية ووسائل التواصل أدوات لعب !

الظالم والمظلوم.. الصالح والطالح.. المُفسد والمُصلح !

الكل أدوات لعبٍ في يد الكبار لشغل المجتمع بعضه ببعض.. ولإلهاء الناس عمّا يُفعل بهم أو يُرادُ لهم أو يساقون إليه ! اليوم يُدعمون المُفسد.. ثم يُدعمون المُصلح لينشغل بعلاج فساده.. ثم غداً ينقلبون علىٰ المُصلح إذا ذاع صيته وصار له تأثير.. ثم بعد غدٍ ينقلبون علىٰ المُفسد للظهور بمظهر الانضباط وللحفاظ علىٰ بقيةٍ من الصالحين : والذين لن يجدوا غيرهم للتضحية بهم في الحروب والأزمات ! وهكذا (ياسر).. فالمهم : أن يبقىٰ الجميعُ مشغولاً بالجميع عنهم" !

نظر دكتور (ياسر) إليه في ذهولٍ.. ثم نفض رأسه قائلاً :

"وإن صدَّقتُ كلامك : فهل هذه هي حُجتك لاختيار السكوت والانزواء في الظل ؟! هل لأنهم يشغلون المُصلحَ بالمُفسد : فيكون علىٰ كل مُصلحٍ ساعتها أن يترك واجبه في الإصلاح" ؟!

مال (مجدي) إلىٰ الأمام ناظراً إلىٰ صديقه في ثباتٍ قائلاً :

"أنا لم أقل أني تركت الإصلاح (ياسر).. أنا تركت الانشغال بـ (الظهور كمُصلح) ! الانشغال بمعارك الساحات (الإعلامية).. حيث أن ظهوري كان ليُعد بمثابة طلب اشتراكٍ في هذه المَعمعَة ! بمعنىٰ : سأصير أداةً أخرىٰ من أدواتهم.. يتركونني متىٰ شاؤوا.. ويقيدونني متىٰ أرادوا ! بل هذا الظل الذي تقول أني انزويت إليه : فقد انزويتُ

إليه لأعمل ! لأصلح بين الناس وأصلح ما تفسدونه أنتم لكن من خلف الستار..

نعم.. هناك مَن باع نفسه للحق وإظهاره وتقبل مشقة الإصلاح.. الناس ما تفتؤ تحتاج إلىٰ قدوةٍ مرئيةٍ يُقنعهم صلاحُها وعِلمُها فيتقبلون منها النصيحة.. الناس تحتاج إلىٰ مَن يُجسد لهم مبادئ الخير والعدل حتىٰ يُبرهن لهم علىٰ إمكانيتها في الواقع لا في الخيال والتنظير ! لكني ببساطة : لم أختر ذلك رغم أهميته..

قد يكون خوفاً علىٰ نفسي.. قد يكون ارتباطاً بعائلتي.. قد يكون تغليباً للإصلاح في السر عن العلن كونه أكثر استقراراً واستمراراً بعيداً عن النكبات والأزمات والتضييقات.. لكني في كل الأحوال لم أستسلم.. ولم أتوقف عن العمل.. كل ما لدي من آراءٍ مبثوثٌ موجودٌ لمَن يبحث عنه.. فهل بحثت أنت عنه (ياسر)" ؟!

كانت كلمات (مجدي) واضحة..

"حتىٰ حُب الظهور كان سبب هزيمتك أمام الجهر بالحق" !

قالها دكتور (ياسر) بحسرةٍ في نفسه.

كان تخيل وجود أمثال (مجدي) يعملون في صمت : شيئاً عسيراً عليه.. لم ينشأ علىٰ قيمة العمل والإنجاز إلا ما يشاهده الناس ويتم تصويره والإعلان عنه والإشارة إليه ! حتىٰ عمل الخير !

شعر (مجدي) بكلمةٍ أخيرةٍ يرغب في نقلها إلىٰ صديقه :

"في النهاية (ياسر).. أنا لا أشكر في نفسي ولا في عقلي بعد كل

هذا.. أنا لست عبقرياً.. لست مثلك في التحليل وملاحظة التفاصيل الدقيقة.. لكن أكثر ما أفادني في حياتي واختياراتي هو الاتساق النفسي وتطابق ما أؤمن به مع ما أفعله.. وعلىٰ هذا سأربي أبنائي.. ألا يتبعوا الكثرة.. هل تتذكر يوم جلسنا مع (رأفت) وتحدثنا عن أحلامنا وتوقعاتنا في الزواج ؟ هل تتذكر كيف سخرتما من آرائي وما نويت فعله مهما خالفت به الناس والسائد من حولي" ؟

رفع دكتور (ياسر) عينيه إليه بنظراتٍ منكسرةٍ.. فواصل قائلاً :

"لقد قمت بعمل كل ما قلت لكما عليه بالفعل.. كل تفصيلة.. كل شيءٍ سار وفق ما آمنت به واقتنعت يقيناً أنه الحق.. بحثتُ عن زوجةٍ بسيطةٍ.. لم أهتم لدراستها الجامعية قدر اهتمامي بتقديرها ومعرفتها لحق الحياة الزوجية وقدسيتها.. وأصررت معها علىٰ أن يكون زواجنا بسيطاً غير مكلف.. لم نقم حفلاً في قاعة.. لم نستدعي فرقةً للغناء والرقص.. كان المهر بسيطاً وكذا الأثاث والذهب.. عشنا لسنواتٍ في شقةٍ بالإيجار.. وأمام كل ذلك :

كبرت قيمتها في عيني يوماً من بعد يوم.. تحملت معي كثيراً فأكرمتها.. طلبتُ منها الحشمة في ملابسها وستر مفاتنها التي لا دافع من إظهارها لغير زوجها : فالتزمت.. لم أخدع نفسي وأتغافل عمّا أعرفه من فتنة جسم المرأة علىٰ الرجال.. لم أخدع نفسي مثل الذين يتركون زوجاتهم يرتدين ما يشأن من كشف المفاتن والعورات : وهم أول مَن ينظرون إلىٰ نساء غيرهم المتكشفات ! فصارت زوجتي بذلك

أجمل امرأةٍ في عيني.. ولم يتخطاها بصري يوماً إلىٰ غيرها.. وكذلك ابنتي.. لما رأيت الفساد الأخلاقي مطلاً برأسه يُجبرنا علىٰ اتباعه : اخترت لها الدراسة المنزلية.. ومن الآن أخطط لها أيضاً في حياتها.. أقوم بتربيتها لتعتد بنفسها.. وبشخصيتها..

أربيها لتعرف أنها ليست لحماً رخيصاً في سوق الزواج.. وأن الأعلم بالرجال والنساء أمرها بالحجاب والحشمة.. وأن مَن تتكشف لتوقع شخصاً في حبال جمالها : لا تدري المسكينة أنه غداً سيقع في حبال مُتكشفةٍ غيرها ! أربيها لتعلم أن قيمتها الحقيقية لدىٰ زوجها : تقبع في استشعاره بأنها له وحده وليست متاعاً عاماً.. سأخبرها بأن مَن يستطيع أخذ ما لدىٰ المرأة بسهولةٍ دون زواجٍ ولا حمل مسؤوليةٍ ورعايةٍ ونفقات : لن يفكر يوماً ما في الزواج منها ! أو كما يقول الغربيون : لماذا تشتري بقرةً.. طالما يأتيك حليبها مجاناً ؟! وآسف علىٰ التشبيه.. لكنها الحقيقة للأسف.

هذا هو حالي صديقي منذ أيام الشباب.. أنت كنت ممَّن ينظرون لأوامر ونواهي التراث علىٰ أنها تقييداً لحريتك.. وأنا كنت ممَّن ينظرون إليها علىٰ أنها ضماناً لسلامتك ! تماماً مثل يافطة التحذير من السير تجاه حقل الألغام.. المجنون فقط مَن يصفها بأنها تقييداً لحريته.. هذا ما أثبتته وستثبته الأيام (ياسر)....

قديماً تفنن كاتبو الروايات ومُخرجي الأفلام في إنتاج وإعادة إنتاج قالب قصة المحبوسين في الكهف أو الوادي بأمر كهنتهم (أو

بأمر الذين يعلمون).. في حين تقبع الخيرات والجنة خارج الكهف أو الوادي (رمزاً للمعرفة والتحرر).. مثل هذه القصص كانت تدغدغ مشاعر كل مَن يرغب في تجربة المجهول.. كل مَن يرغب في التمرد علىٰ السائد.. التمرد علىٰ كل ما يحكم تصرفاته مهما كان فطرياً أو صحيحاً ! تفننوا لعقودٍ في إظهار أن أطيب الناس : هم أشر الناس في الحقيقة آخر الرواية ! كانوا يُخدِّرون مشاعر كل فاسدٍ.. كانوا يدغدغون ضميره لإقناعه بأنه علىٰ خير.. وأن الصالحين في النهاية هم الفسدة المتسترين ! كانوا يخدعون أمثالك بأن تشريعاتهم لا علاقة لها برغباتهم وبطويات نفوسهم ومشاكلهم الشخصية وتعقيداتهم ! كل ذلك فعلوه طيلة عشرات السنين في حين....

في حين كان الزمن كفيلاً بتعليمنا أقسىٰ الدروس للأسف" !

أحدثت كلماته القاسية فورةً في قلب صديقه.. لكن ما لبثت أن أطفأت معها مشاعر غضبه لنفسه.. تماماً مثل إطفاء الماء للنار !

في نهاية اللقاء شعر دكتور (ياسر) وزوجته براحةٍ كبيرة.. شعرا بدفعةٍ معنويةٍ كانا في أمس الحاجة إليها لبدء تطبيق الخطة.

وقبل أن يصافح صديقه في انصرافه.. أعطاه فلاشةً صغيرةً :

"هذه الفلاشة عليها فيديو خاص لي مع (نيفين).. نتحدث فيه عن كل ما حدث.. وعن خطتنا.. وأن هدفنا هو كشف عوار التشريعات الجديدة وتناقضات إدارة (الحقوق والحريات).. وأننا عزمنا علىٰ المضي قدماً في هذا السيناريو حتىٰ آخر لحظة.. حتىٰ نجذب أنظار

آخر شخصٍ في هذا البلد لم يستوقفه كل ما مضىٰ من الأحداث.. ولم يستوقفه ما سنثيره من قضايا وأفكارٍ في الفترة المجنونة القادمة لتسليط الضوء علىٰ قيمتنا كبشر ! هذا الفيديو لا تنشره (مجدي) إلا إذا وقع لنا شيء.. لقد جدولت نشره تلقائيًا علىٰ قناة اليوتيوب الخاصة بنا صباح يوم ٢٢.. لكن ابقيه معك في حال أوقفوا البث أو أغلقوا القناة.. وداعًا صديقي إلىٰ أن نلتقي..

وادع لي ولزوجتي بالمغفرة".

* * *

اتصال

اليـوم ٢٠ مـن الشـهر.. اشـتعلت مواقـع التواصـل الاجتمـاعي والبرامج الحوارية في أغلب دول العالم بعد إعلان القاضي بالأمس مشروعية (القتل بالتراضي).. وذلك تماشياً مع سقف (الحقوق والحريات) غير المحدود الذي تتبناه البلد..

بعض أعمال العنف بدأت في الظهور هنا وهناك.. بدأ استخدام القوة في السيطرة علىٰ الوضع.. أثار الحُكم (أخيراً) البقية الباقية من الغافلين لاستشعار خطورة الوحش الجاسم علىٰ الصدور باسم الحرية : والزاحف عليهم بقوةٍ لالتهام البقية الباقية من إنسانيتهم بلا أي رادعٍ من ضميرٍ ولا مبدأ.. خاصةً بعدما أعلنت شركتا فيسبوك ويوتيوب صباح اليوم موافقتهما علىٰ البث المباشر ليلة ٢١ علىٰ موقعيهما للدكتور وزوجته.. مع استحداث نظام تحذيري قبل البث من احتوائه علىٰ مشاهد دموية أو مؤلمة.

وعند فيلا دكتور (ياسر) : توافد المزيد والمزيد من المؤيدين والمعارضين إلىٰ مركز الحدث.. صار يمكن سماع هتافات كلٍ من حشود (الحرية) وحشود (الإنسانية) بوضوح من خارج الفيلا.. رغم الإبعاد القسري لهم وحجزهم عن محيط الفيلا مسافة لا تقل عن ٢٠٠ مترٍ.. لكن دون جدوىٰ.

وفي الداخل.. لم تتوقف إشعارات الاتصال أو الرسائل علىٰ

الهواتف المحمولة للدكتور وزوجته.. كانت الهواتف مضبوطة علىٰ الوضع (الصامت) لعدم الإزعاج.. ما إن ينتهي رقمٌ من محاولة الاتصال حتىٰ يعقبه آخر.. أرقامٌ كثيرةٌ يعرفون بعضها.. أما أغلبها فمن دون اسمٍ مُسجل.. وكذلك مئات الرسائل التي لم يهتما بها.

كانا في حاجةٍ للهواتف لارتباط حساباتهما في البث المباشر بها.. حاولا ربط حساباتهما بأرقام هواتفٍ جديدةٍ غير معروفةٍ لأحد : لكن سرعان ما كان يتم تسريبها إلىٰ الناس بطريقةٍ ما !

رقمٌ واحد فقط لم يكن ليتسرب إلىٰ أحد.. وشريحته موضوعة في هاتفٍ خاص كاد دكتور (ياسر) أن ينساه !

إنه الرقم الخاص الذي أعطته له إدارة (الحقوق والحريات) منذ سنواتٍ أيام المسودات والتحضير للقوانين الجديدة.. وفي هذا اليوم.. وبعد أن ألقىٰ دكتور (ياسر) كلمته : دخل إلىٰ غرفة نومه عصراً ليرتاح قليلاً.. فغداً ينتظره يومٌ حافل.

استلقىٰ علىٰ الفراش.. لم يكن متأكداً من قدرته علىٰ النوم مع كثرة التفكير.. كان بداخله قلقٌ طبيعيٌ لشخصٍ في مثل وضعه.. ساد الصمتُ لدقائق قبل أن يقطعه رنين الهاتف المُميز بهذا الرقم.. ذاك الرنين الذي لم يسمعه لشهورٍ كاملة ! كان الهاتف موضوعًا في جهازٍ خاصٍ به علىٰ المكتبة لضمان دوام الشحن.. قام دكتور (ياسر) من فراشه متعجبًا.. ثم أخذ الهاتف ونظر إليه.. إنه الاتصال الـ ١٥ من صديقه دكتور (رأفت).. يبدو أنه يتصل منذ الصباح.. لكنه لم يسمعه

مع انشغاله بالبث ومن صوت الهرج في الخارج.

"ماذا يريد (رأفت) ؟ اختفىٰ كل هذه المدة ثـم يريـد التحـدث إلـيَّ الآن ؟ إلىٰ هذا الحد تأثير الإدارة عليه" ؟

تردد قليلاً في الرد.. ثم قرر أن يجيب الاتصال أخيراً :

"ألـو.. كيـف حالـك (ياسـر).. أعتـذر علـىٰ الانقطـاع طيلـة الفتـرة السـابقة.. الوضـع كـان مشوشـاً عنـدي لأقصـىٰ درجـة.. أعتـذر.. والضغوط عليّ كانت من كل جانب.. لـم أعرف حتـىٰ بمـاذا أنصـحك ولا علىٰ ماذا أشجعك.. علىٰ التوقف أم الاستمرار.. خاصةً أني أعلم تفكيرك.. ولست أثق في إن كنت تنوي فعل مـا أعلنتـه أنـت و(نيفـين) حقـاً أم لا.. اعذرني مرةً أخرىٰ".

قالها دكتور (رأفت) في صوتٍ بدا عليه اللهفة والقلق..

صـمت دكتـور (ياسـر) قلـيلاً قبـل أن يجيـب فـي بـرودٍ يُظهـر عـدم تفاعله مع الكلام :

"أهلاً (رأفت).. نحن بخيـر.. الحقيقـة توقعـت تحييـدك مـن جهـة الإدارة.. وإن كان غالب ظني أنهـم حـاولوا اسـتغلالك للتـأثير علـيّ.. وهو ما أتوقعه الآن..

لماذا تتصل في هذا الوقت تحديداً (رأفت)" ؟

سكت دكتور (رأفت) قليلاً ثم قال :

"لا أكذب عليـك.. قـد حـاولوا اسـتغلالي بالفعـل أكثـر مـن مـرة.. حاولوا تحييدي في البداية.. ثم لمّا فشلوا المـرة تلـو الأخـرىٰ حـاولوا

الاستعانة بي للتأثير عليك.. لكن كانت لدي طرقي الخاصة للتملص منهم والإيحاء لهم بعدم الجدوىٰ.. وأني أعرف أن قراراتك لا تتغير بسهولة.. لأنك لا تتخذها بسهولةٍ أو تسرع.. كل ما أريده منك الآن (ياسر) وأحدثك فيه : هو المصلحة العامة..

أتحدث معك من أجل مشروعنا الذي يهتز بشدة في أعين الناس ويكاد أن يسقط.. أنت تعلم تأثير ما بثثته من أفكارٍ علىٰ الناس طيلة الشهر.. لقد أعطيتهم معاول الهدم التي يضربون بها صرحنا الذي ناضلنا من أجله لسنواتٍ يا (ياسر).. فما آن الوقت لكي تتوقف وتنظر إلىٰ مآل كل ذلك ؟ ألم يكن ذلك حلمك معي منذ أيام الجامعة : أن نضع بلدنا علىٰ طريق التقدم والتحضر ورفع سقف الحريات إلىٰ غير نهاية ؟ أعلم صعوبة ما مررت به أنت و(نيفين).. لكن لكل نظام وقوانينه أخطاء.. ومن المحزن أن ندفع أحيانـًا ثمن هذه الأخطاء من أنفسنا أو ممَّن نحب".

سكت دكتور (ياسر) قليلاً وهو يرتب أفكاره جيداً للرد.. لا يريد أن يظهر عليه ولا علىٰ صوته أي انفعالٍ مهما كان الكلام مستفزاً أو مؤذيـًا.. خاصةً أنها ليست المرة الأولىٰ التي يتواجهان فيها بخصوص هذا الاختلاف في الرؤىٰ.. فقال في هدوء :

"لا (رأفت).. ليس هذا ما حلمت به من قبل.. أنا حلمت بحريةٍ عادلة.. بحريةٍ تفتح الأبواب للجميع لفعل وقول ما يشاء دون أن يتضرر أحد.. حتىٰ أقبح صور الحريات من جنسٍ وزنا محارم ودعارة

واختلاط أنسابٍ وشذوذ : كل ذلك رأيت أنه لن يتم حلمي إلا بإتاحته لمَن يريد طالما أن الواقعين فيه لن يؤذوا إلا أنفسهم.. لكن أتعلم شيئًا (رأفت) : لم يكن هذا ما حدث.. لقد تم الحَجْر علىٰ صوت فريقٍ بعينه من الناس.. تم الحَجْر علىٰ الفريق الذي ينصح ويعظ ويُحذر من العواقب.. تم الَحْجر عليهم سواء كانوا مثلي أو ممَّن يتبعون التراث.. لا لشيء إلا لاختلاف رأينا عمَّا تم تحديد فرضه مُسبقًا علىٰ الناس.. تم تجاهل أمثالي وتجاهل كل ما قدمت من اعتراضاتٍ.. وتم شيطنة أتباع التراث وتشويههم إعلاميًا والحط من قدرهم واتهام نواياهم بالكذب والتضليل !

لقد صار مشروعنا كالنار المؤجَّجة تلتهم كل ما يوضع فيها وتطلب المزيد لتستمر.. صار الشغل الشاغل للإدارة جمع كل ما يمكن وصفه بالتمرد الأخلاقي وكسر كل الحدود والقيود والتابوهات.. لقد جمعنا حتىٰ ما لم يجمعه غيرنا من الدول من فرط تناقضه.. من فرط تعارضه مع بعضه البعض ! لقد صرنا مَلكيين يا (رأفت) أكثر من المَلك ! وكل ذلك لم يوقفهم.. كانوا كالمحموم الساعي لإشعال أكبر نار ! المهم فقط أن يستمر الاشتعال !

تتذكر (رأفت) أول مرةٍ أخبرتك بقلقي من قوانين الطفل ماذا قلت لي ؟ لقد طمأنتني بأن الإدارة سوف تتولىٰ (وبكل حرص) تطبيق كل هذه التشريعات بما يضمن سلامة الجميع ! فهل هذا ما تم (رأفت) ؟ هل هذا ما وقع عندما فقدنا (جنا)" ؟!

سكت دكتور (ياسر) للحظة ليمنع تأثره بعواطفه ثم واصل :

"لقد اكتشفت أن ما نقوم به (رأفت) هو أننا نضع كرةً كبيرةً علىٰ طرفِ منحدر : ثم نتركها لتسقط بفعل وزنها فوق الناس وتسحقهم ! ثم عند توجيه اللوم لنا نتحجَّج بأننا لم نفعل إلا أن وضعناها.. وكأننا لا نعرف أنها ستسقط بوزنها والجاذبية ! هذه الصخرة هي الأفكار الفاسدة التي جمعناها من كل حدبٍ وصوبٍ لنُهلك بها حياة الملايين في بلدنا للأسف.. وتجاهلنا كل تحذيرات المُخلصين والناصحين.

هذا ببساطة ما فعلناه (رأفت).. لقد غمسنا أيدينا في آلاف المآسي والمظالم بعمىٰ قلوبنا ولوثة (الحرية) التي سيطرت علينا.. لقد غيَّبونا في سكرات النجاح والشهرة.. وفي إغراءات ما أغدقوا به علينا حتىٰ ألجمونا علىٰ السكوت إلجاماً ! هذه هي حقيقة مآل الحلم الذي حلمناه (رأفت).. لا كما تزعم" !

سكت دكتور (رأفت) للحظاتٍ بدوره ثم قال مُهدئاً :

"أعترف أنك كنتَ مُصيباً في بعض آرائك عن تشريعات الطفل (ياسر).. لكن ما وقع لـ(جنا) من مأساةٍ كان هو الشوكة التي كسرت (عناد) و(جمود) الإدارة أخيراً.. هذا ما أردت إخبارك به.. أردتُ إخبارك أن صوتك أخيراً صار له تأثير.. وبما لا داعي معه لهدم الصرح كله ! لقد تحدثتُ بالفعل مع الإدارة عن روح أهدافنا في إقرار الحريات.. لا عن الخوف الذي أصابهم فرأوا التفريط في نوعٍ من التشريعات : وكأنه باب التفريط في كل شيءٍ أنجزناه.. وقد وافقوني

بالفعل.. وأعطوني الضوء الأخضر للتفاهم معك بخصوصه وإعداد مسودة جديدة به.. ما رأيك" ؟

ضحك دكتور (ياسر) ضحكةً استعراضيةً خفيفةً قبل أن يقول :

"الآن (رأفت) ؟! الآن ؟! ما تطالبني به قد فعلته أنا مراتٍ ومراتٍ من قبل.. كمّ من مسودةٍ للتعديل أعددتها وقدمتها إليهم ؟ وأنت نفسك تعرف ذلك وكنت شاهداً عليه.. لكن أتعرف شيئاً : الأمر الآن قد اختلف.. أنت تقول أنهم صاروا أكثر تقبلاً للتعديل والتغيير علىٰ تشريعات الطفل.. وأنا أقول لك : الآن قد فُتحت بصيرتي علىٰ عشرات التشريعات التي ينبغي الوقوف في وجهها وليس تشريعات الطفل فقط ! فهل هم مستعدون لقبول ذلك ؟!

(رأفت)... لقد اكتشفت أنك لن تستبدل نظاماً .. لن توقف العمل بالتراث مثلاً وتصفه بالتشدد والجمود : إلا وستأتي بدلاً منه بنظامٍ آخر يحمي قلبه أو مركزه بالتشدد والجمود !

الأمر بسيط (رأفت) !

لم ولا ولن يوجد أبداً ما تخيلناه من فكرٍ (مُتحرر).. هذه أكذوبة العُمر صديقي.. إذا تحررت من فكرٍ ستسقط أسيراً لآخر.. ولكل فكرٍ مُحدِّداته التي ستتبعه فيها.. حتىٰ عند ادعائك عدم التقيد بأي فكر : فأنت هنا أسير فكر اللافكر ! أسير (الفوضىٰ) و(كل فردٍ برأي) !

وهذا هو عين العبث صديقي ! لأن كل فكرٍ مهما رأيت فيه من سلبياتٍ أو أخطاءٍ فعلىٰ الأقل هو مُتسقٌ مع ذاته.. علىٰ الأقل لديه

مَرجعيةٌ تُحاكمه إليها بغض النظر عن صوابها أو خطئها.. أما اللافكر فسيُجبرك علىٰ تقبل جميع التناقضات سواء في غيرك أو حتىٰ في نفسك ! سيُجبرك علىٰ احترامها كلها بنفس القدر.. وهذه هي المأساة التي خدعنا أنفسنا وغيرنا بها للأسف.

كل شخصٍ منا كان يسعىٰ في الحقيقة لإرضاء تفكيره وحاجته الخاصة.. أتتذكر دفاعك عن التعليم الجنسي للأطفال (رأفت) ؟ لقد قلتَ لي بالحرف : لعل ذلك التعليم يُخرج لنا نساءً يستطعن إسعاد أزواجهن في الفراش ! انظر : كانت رؤيتك للتشريع نتاج مشاكلك الخاصة.. كلنا يعلم بعدم انسجامك مع زوجتك.. كلنا يعلم بخياناتك العديدة لها.. والسؤال : ما ذنب آلاف الأطفال إن لم يكن ملايين الأطفال : لتفسد عليهم براءتهم في أتون الإثارة والفضول الجنسي منذ الصغر ؟! بل إلىٰ اللحظة : لا أتخيل ما سيكون عليه مستقبل هذا الجيل المنقاد من شهوته !

هل تتخيل معي هذا الجيل وأنت تعِدهُ إذا اتقنَ عملَه : بوجبةٍ جنسيةٍ تُلهب بها خيالَه ومشاعرَه ؟! أم تتخيل معي ثمن خيانته لبلده : سهرةً حمراء في حضن داعرة ! جيلٌ مشوهٌ شاركتَ أنتَ وغيرك فيه بمشاكلكم الخاصة ! بل حتىٰ زوجتك : أنا علىٰ يقينٍ من أنها ضحيةً أيضاً لسعار الإباحية الذي تشاهده وقد شوّه المُعاشرة وحصرها في أوضاعٍ خيالية لا تستطيعها كل امرأة.. بل وقد تكون ضحيةً كذلك لما نفعله من إبعاد النساء عن تعلم كيفية إسعاد الزوج أو العناية بالأبناء !

علىٰ مدىٰ عشرات السنين تـم وصـف كـل مَـن تهـتم بـذلك فـي مئات الأفلام والمسلسلات بالـ (الجهل) و (التخلف) و (الرجعية) !

المـرأة صـارت عنـدنا فـي مكانـةٍ مرموقـةٍ وهـي تخـدم رجـلاً غيـر زوجهـا.. وهـي تعـرض مفاتنهـا علـىٰ الرجـال دون طلـبٍ مـنهم عـدا زوجها.. وهي تلاطف رجالاً بما لا تفعل عُشر مِعشاره مع زوجهـا.. وهي تنتفض سعيـًا في طاعةِ مديرٍ أو رئيسٍ لا زوجها ! بل حتـىٰ وهـي ترعىٰ أبناءً غير أبنائها بكل تفانٍ وصبر ! أما إذا فعلت كل ذلك في بيتها لزوجها أو أبنائها : فهي المقهورة المظلومة المهضوم حقها" !

سكت دكتور (ياسر) للحظاتٍ وقد شعر بأنه قد ردَّ الصـاع صـاعين لصديقه الذي أراد استغلال مأساة ابنته الخاصة.. فقال دكتور (رأفت) بعد فترةٍ من الصمت :

"حسنـًا (ياسر).. بالطبع لا.. لـن أعلـق علـىٰ كلامـك الخـاص بـي ولا بأشخاصنا.. ولن أكذب عليك لأخبـرك بـأن الإدارة ستنفتح علـىٰ أية تعديلاتٍ أو تغييراتٍ تهدم لها ما حققته منذ سنوات.. لسـت غبيـًا لأقول لك هذا.. لكن أريد منك إجابةً صريحةً علىٰ سؤالي إذا تبقـت لديك ذرة صداقةٍ منذ الأيام الخالية :

هل تنوي بالفعل قتل (نيفين)" ؟

سكت دكتور (ياسر) لحظات.. شيءٌ ما بداخله لا زال يحترم حـق الصداقة بينهما.. فقال في كياسةٍ :

"سأعطي العالَم ما يحتاجه غداً (رأفت).. هذه إجابتي" .

وعلىٰ الفور كان الرد :

"أيُّ عالَمٍ هذا الذي ستعطيه ما يريد (ياسر) ؟ لقد شققت العالَمَ إلىٰ نصفين يا رجل ! إلىٰ معسكرين لا ثالث لهما".

وهنا سكت الإثنان للحظاتٍ قبل أن يقول (رأفت) في أسىٰ :

"علىٰ العموم.. ولأني أحفظ عهد الصداقة بيننا.. فإن لم يكن في نيتك موت زوجتك.. فأرجو ألا تتناولان أي طعامٍ من البيت غداً.. فللأسف الشديد اطلعت علىٰ خطة المكتب الأعلىٰ لإيقافك و(نيفين) بما يدع حداً لهذه البلبة إلىٰ الأبد.. هذا الكلام أقوله لك في هذا الخط غير المراقب ولو عرفوا به : لأنهوا مستقبلي وربما حياتي.. لقد مورس علىٰ (سُمية) إرهاباً منذ أيامٍ بقتل أطفالها في بلدتها إذا لم تضع لكما سُماً فيما تتناولانه.. لا أعرف ربما كان شراباً أو طعاماً.. وغالب ظني أن المسكينة ستفعل ما هددوها به.. ليس بيدها حيلة.. لا أظلمها ولا أعتب عليها.. أنتما الذان وضعتماها في هذا الموقف الذي لا تحسد عليه.. فالمرجو عدم تناول أي شيءٍ منها غداً".

سكت دكتور (ياسر) وهو يتفكر قليلاً.. كيف فاته ذلك ؟!

لقد وضع احتمال قتله أو تسميمه بالفعل خاصةً مع المواد التي تأتيهم من الخارج.. لكن أي محاولة قتلٍ قبل موعد ٢١ الغد : كانت لتقلب عليهم الرأي العام بأكمله حتىٰ المعارضين ! فكيف فاته احتمالية جعلهم القتل في نفس وقت الحدث الكبير ؟!

"بالنسبة لـ (سُمية) فسوف تتركنا صباح الغد كما اتفقت مع

(نيفين).. ولو صح كلامك : فخطتهم ستكون تسميمنا ليقولوا أننا قتلنا أنفسنا في النهاية.. وينجحون بذلك في إنهاء الجدل أخيراً.. ثم بعدها لن يسمحوا بتكرار حالتنا أبداً.. سيئدوها في مهدها.. لن يكرروا الوقوع في إحراجٍ مثل الذي سببناه لهم في الداخل والخارج".

قالها دكتور (ياسر) وقد جلس علىٰ مقعد غرفة النوم يستوعب هذا التطور الأخير للأحداث.. فأتاه صوت صديقه علىٰ الجهة الأخرىٰ من الاتصال يوشك أن ينهيه :

"لقد حذرتك (ياسر).. لا أعرف ما الذي أعطوه لها بالضبط.. ولا أعرف إذا كانت ستضعه في طعامٍ أو شرابٍ.. أو حتىٰ في الهواء الذي تتنفسانه ! كل ما بيدكم الآن أخذ الحيطة وعدم تناول أي شيءٍ من داخل الفيلا.. لا أعرف.. هل أرسل لكما طعامًا ؟ أم ستشك (سُمية) بذلك وتخبرهم به !

سأرسل لكم عصائر وبسكوت.. وأنتم أوهموها أنكم أُصِبتم بعدم الرغبة في الأكل بسبب توتر الموقف.. وأنكم ستأكلون فيما بعد.. واطلبوا منها أن تترك لكم الطعام والشراب كما اعتدتم حتىٰ لا تشك في أمركم.. وداعًا صديقي".

***

الساعة العاشرة !

في اليوم الموعود.. ودّع الإثنان (سُمية) بنظراتٍ خليطةٍ بين العتاب والشفقة.. بين الحُب والغضب.. بين الشوق لرؤياها من جديدٍ في ظروفٍ أفضل.. وبين الخوف من أن تكون نهايتهما علىٰ يدها مثلما انتهت حياة الكثيرين علىٰ يد أقرب الناس إليهم !

كانت بطن كلٍ منهما تُكركِبُ من التوتر.. رغم أنه لم يكن من المفترض أن يصيبهما في ذلك اليوم قلق.. فمجرد بقاؤهما إلىٰ اللحظة علىٰ قيد الحياة : يعني أنهما قد اجتازا كل محاولات إسكاتهما.. كان يعني بقاؤهما إلىٰ هذا اليوم : أنهما قد نجحا بنسبة ٩٩٪ في مخططهما الذي خططانه طيلة يومين كاملين في غرفة نومهما الصغيرة..

مرَّت الكثير من المواقف والذكريات علىٰ تفكيرهما أغلب اليوم.. لقد تحملا كثيراً بالفعل.. وكان أصعب الألم هو تمثيل دور عدم الاكتراث بموت ابنتهما أمام الكاميرات والبث..

أصوات الحشود في الخارج تعلو.. جماعتان عظيمتان في العدد تهتفان في الخارج باسم (الحرية) وباسم (الإنسانية).

كان أمل الدكتور وزوجته اليوم إذا مرَّت الساعة العاشرة في سلامٍ دون قتلٍ ولا تسميم : أن يقوما بإلقاء كلمتهما الأخيرة علىٰ الناس.. تلك الكلمة التي يأملان في ألا يبقىٰ صوتٌ مرتفعٌ بعدها إلا صوتُ

(الإنسانية).. وكل ما يحترم (قيمة) الإنسان و(حياته) و(هويته) !

لم يجدا القدرة في نفسهما علىٰ إلقاء أي كلمةٍ خاصةٍ طيلة اليوم.. حتىٰ الطعام والشراب: لم يرغبا فيه - بغض النظر عن موضوع (سُمية) إن صح – اكتفىٰ كل منهما ببعض البسكويت والعصائر التي أرسلها لهما (رأفت) بالفعل..

العجيب أنه كانت لديهما رغبة كبيرة في الصلاة أمام الشاشات لأول مرةٍ.. لكن اختارا تأجيل ذلك إلىٰ ما بعد الساعة العاشرة.. يريدان المحافظة علىٰ صورتهما اللادينية في أعين أكثر الناس إلىٰ آخر لحظةٍ.. إذ لو صلَّىٰ أحدهما: لأرسل المكتب الأعلىٰ شيخاً في اليوم التالي ليحدثهما عن حُرمة الانتحار !

اقتربت ساعة الفصل..

علىٰ أريكة الصالة جلسا أمام البث المباشر علىٰ الفيسبوك واليوتيوب.. احتضن دكتور (ياسر) زوجته في حنانٍ وفي يده سكين !

وعلىٰ بعد عشرات الكيلومترات من موقع هذا المشهد في العاصمة.. امتلأت كافتريا (الميدان) بالحشد داخلها لمشاهدة البث علىٰ الشاشة الكبيرة.. في حين شاركهم العشرات بالمراقبة من الخارج.. وقد اجتمعوا ينتظرون العد التنازلي لهذا الحدث.

في العادة لا يتوحد شعبٌ في بلدٍ ما لمشاهدة البث المباشر إلا لشيئين.. إما المباراة النهائية لمنتخب كرة القدم ! وإما لسماع بيانٍ

سياسيٍ هامٍ يمس كل مواطن !

وفي عُجالةٍ.. اقترب رجُل توصيل طلباتٍ بالموتسيكل الخاص به ونظارة قيادته السميكة.. وقف علىٰ أطراف الجمع خارج الكافتريا.. للتو انتهىٰ من توصيل آخر طلبيةٍ معه.. لقد ضبط وقته لإنهاء عمله بالكاد قبل هذا الحدث المثير.. كان ينتظره بفارغ الصبر أكثر من أي شخصٍ آخر.. خاصةً وليس لديه من رصيد الإنترنت ما يكفي لمتابعة البث المباشر علىٰ هاتفه.. ديونه استهلكت معظم أمواله !

كان (شريف رجب).. والد الطفل (أيمن) صاحب قضية الختان الشهيرة ! حيث تعمد مؤخراً ارتداء نظارة القيادة لإخفاء معالم وجهه من كثرة ما يستوقفه الناس لسؤاله عن قضيته.

كانت أنظار الجميع معلقةٌ علىٰ الشاشات.. وتعالت الأصوات :

"هل سيقتلها فعلاً" ؟!

"هل ستتدخل الحكومة في اللحظة الأخيرة" ؟

"هل سيقتل دكتور (ياسر) زوجته" ؟

"هل سينفذان وعدهما ؟ هل ستتركه دكتورة (نيفين) يقتلها" ؟

لم يستطع رجل التوصيل تحمل هذا الكمّ العالي من التوتر.. فأخذ يردد بصوتٍ مسموعٍ :

"يا رب.. يا رب لا يقتلها.. يا رب يخلف وعده.. يا رب تتدخل الحكومة وتمنعه.. هذا ليس معقولاً يا ناس.. رجلٌ يقتل زوجته أمام

الملايين ! إلىٰ ماذا وصل بنا الحال في هذا العالم المجنون" ؟!

أثارت كلماته رجلاً أمامه.. فالتفت إليه ملوحـًا بيده التي تحمل سيجارةً رخيصةً قائلاً في شماتة :

"بالطبع سيقتلها.. ولن يتدخل أحد.. هذه حريتهما الشخصية..

وهذا ما اختاره كل منهما لنفسه.. نحن دولة قانون يا أستاذ.. نحن دولة حريات.. لا مكان لخزعبلاتكم بعد اليوم.. هذا درسٌ عمليٌ لكل مَن ظن أنه سيعود بنا إلىٰ الوراء.. فليقتلها.. وليقتل مَن شاء مَن أراد.. اليو...".

في هذه اللحظة لم يتمالك رجل التوصيل نفسه.. يبدو أنه كان مشحونـًا نفسيـًا بما لا مزيد عليه لينفجر فيه لكمـًا وضربـًا علىٰ رأسه وجسده.. كان تصرفه مفاجئـًا لم يتوقعه أحد.. ولم ينتبه أكثر الواقفين إلا علىٰ صراخه في لوعةٍ وألم :

"لا فائدة منكم أبداً.. لا فائدة.. ماذا يفعل لكم الرجل أكثر مما فعل لكي تفهموا ؟ ماذا يقول لكم أكثر مما قال" ؟

حاول الناس إبعاده عن الرجل.. وقد احتار بعضهم ما بين الفض بينهما وبين متابعة هذا الحدث..

وحينها.. فاجأهم ما شاهدوه علىٰ الشاشة...!

ظهرت علىٰ ملامح دكتور (ياسر) علامات الألم المكتوم فجأةً.. ثم تَوجَّعَ بصوتٍ مسموعٍ وهو ينحني برأسه ناظراً إلىٰ بطنه.. في حين

بدأ نفس الشيء مع زوجته ! سرعان ما سقطت السكين من يده.. ثم سقط الإثنان معـًا علىٰ الأرض بغير حراك !

كل ذلك في ثوانٍ معدوداتٍ في مشهدٍ عجيب !

تسمّرت ملايين العيون علىٰ شاشات بعض القنوات الخاصة.. وفي هواتفهم وأجهزتهم التي تعرض البث المباشر علىٰ الهواء.. ليس في بلدهم وحدها.. ولكن في أكثر دول العالم ممَن يتابعون الحدث !

ساد الهدوء للحظاتٍ.. ذاك الهدوء الذي يسبق العاصفة !

في دقائق بدأ الهرج بين الناس في كل مكانٍ للتساؤل عمَّا حدث.. وعن حقيقة ما شاهدوه الآن.. في حين بقيت صورة البث ثابتةً علىٰ مشهد الصالة والجسدين الساقطين أمام الأريكة بغير حراك !

ومن بين الجميع أشار أحدهم إلىٰ رجل التوصيل بعد أن رفع الرجل نظارة قيادته غير مُصدقٍ ما رأىٰ !

"ألست أنت (شريف رجب) أبو (أيمن) ؟! انظروا مَن هنا.. إنه أبو طفل الختان" !

التف الناس حوله.. لم يسألوه عن ابنه.. بل سألوه عن تفسيره لما حدث.. فكانت إجابته حاضرةً دون تردد :

"لم ينتحرا.. لقد سمَّموهما ليسكتوا صوت الحق"..

"لقد قتلوهما ليتوقف كشف الحقائق".

التف الناس حوله وحملوه فوق الأكتاف.

* * *

صديقي.. بروتس !

في مكتبه الخاص فتح البروفيسور زجاجة خمرٍ عتيقة احتفالاً بانتهاء الأزمة ونجاح الخطة.. وفي المقعد أمامه جلس دكتور (رأفت) يشاهد بيان المكتب الأعلىٰ الذي تُلقيه مذيعة الأخبار كخبرٍ عاجل:

"هذا وتفيد الملابسات الأولية إلىٰ حالة تسمم للدكتور (ياسر) وزوجته.. وجاري نقل الجثمانين بالإسعاف والشرطة الذيْن كانا متواجديْن بجوار الفيلا : إلىٰ مختص الطبيب الشرعي.. مع سرعة دراسة موقع الحدث ورفع الآثار والبصمات للوقوف علىٰ الفاعل.. هل هو الدكتور أم زوجته أم كليهما أو من جهة طرفٍ ثالث ؟ مع تشديد المكتب الأعلىٰ علىٰ تلقي الأوامر العُليا بسرعة وشفافية إبلاغ الجمهور والرأي العام بالنتائج أولاً بأول.. وذلك علىٰ الحادث الذي لم تمض عليه أكثر من نصف الساعة إلىٰ الآن".

استمع البروفيسور إلىٰ كلماتها الأخيرة وكأنه يستمع إلىٰ أغنيةٍ يحبها أو سيمفونيةٍ تدغدغ مشاعره.. حتىٰ أنه كان يلوح بيده في حركةٍ مسرحيةٍ مع نهاية الخبر العاجل.. ثم قال مبتسماً :

"الآن يبدأ عمل الشرطة في إعادة الانضباط إلىٰ الشارع واحتواء غضب الحشود والجماهير.. إذا مرَّت الليلةُ بسلام : فقد انتهت الغُمَّةُ بلا رجعةٍ (رأفت).. لقد تعلمنا الدرس".

ظل دكتور (رأفت) متوجهاً بعينيه إلىٰ الشاشة دون تعليق..

صـور العصـائر والبسـكويت والسُّـمّ الخـاص الـذي أعـدَّه قسـم السُّموم بالمكتب الأعلىٰ لم تفارق عينيه.

لقد تذكر أشهر مقولةٍ في الخيانة عبر التاريخ.. تلك التي أطلقها (ويليام شكسبير) في مسرحيته (يوليوس قيصر) :

"حتىٰ أنت يا (بروتَس)" ؟!

كان علىٰ يقينٍ من أن نموذج (بروتَس) قد تكرر كثيراً بين الناس علىٰ أرض الواقع.. وها هو الآن يحوز (شرف) الانضمام إليه !

نعم.. كان يتمنىٰ قتل صديقه.. كان يتمنىٰ إيقافه بأي ثمن.. لكن لم يتوقع مرارة ذلك كما عاينها الآن.. لم يتخيل أن يكون قتله علىٰ يديه.. إن خيانة الثقةِ بهذه الصورة : لن تنمحي من ذاكرته أبد الدهر !

***

كانت ليلةً ليلاء...!

لم ينتظر (مجدي) إلىٰ صباح يوم ٢٢.. خاصةً مع غلق البث المباشر من الشرطة ومُصادرة الكاميرات.. كانت هذه هي اللحظة الأنسب للنشر ! لديه العديد من قنوات اليوتيوب ومجموعات الفيسبوك التي يعمل من ورائها.. قام برفع فيديو اعتراف دكتور (ياسر) وزوجته بكل شيء..

نظر إلىٰ شاشة التلفاز أمامه ليرىٰ الحشود في الشوارع حاملةً (رجلَ التوصيل) علىٰ أكتافها.. رآها وهي تسير كالسيل الهادر..

ثم ضغط زر النشر.